سلسلة إصدارات حلقات مسجد أبي بكر الصديق بالرياض - حي الروابي (٢٠)



في عقيدة أهل السنّة والجماعة

للإمام أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني

رحمه الله تعالى (٢٣٠ - ٣١٦هـ)

فضيلة الشيخ الدكتور



خرج أحاديثه وعلق عليه وأعده للنشر

الدكتور طارق بن محمد عبدالله الخويطر




بسم الله الرحمن الرحيم


شرح
المنظومة الحائية
في عقيدة أهل السنّة والجماعة
للإمام أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني
رحمه الله تعالى (٢٣٠ـ ٣١٦هـ)

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجبرين، عبدالله بن عبدالرحمن

شرح المنظومة الحائية في عقيدة أهل السنة والجماعة للإمام أبي بكر عبدالله السجستاني/ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين؛ طارق بن محمد الخويطر - الرياض ١٤٣٠هـ.

١٦٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٣-٣٥٧٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد أ. الخويطر، طارق بن محمد (محقق) ب- العنوان

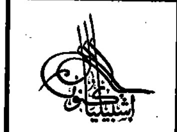
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٠/٦٧٦٠

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٦٧٦٠

ردمك: ٣-٣٥٧٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص. ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨- ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

مقدمة سماحة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

الحمد لله الملك العلام، القدوس السلام، المتصف بصفات الكمال على التمام، المنزه من النقائص والأوهام، ونشهد أن لا إله إلا الله واسع الرحمة والإنعام، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي بيَّن التوحيد والاعتقاد على الدوام، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أشرف صلاة وأزكى سلام.

أما بعد:

فإن أهل السنة والجماعة على عقيدة راسخة متمكنة في القلوب، وقد تلقوا أدلتهم من كتاب الله تعالى، ومن سنة النبي ﷺ، وسيرته وما دعا إليه، وتعبد به، وما سار عليه صحابته الكرام من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، والذين اتبعوهم بإحسان، فقد هداهم الله تعالى ووفقهم، وثبتهم على ما فطر عليه الناس، من الإقرار بالرب العظيم، المتفرد بالخلق والتدبير، وهو على كل شيء قدير.

وقد وصف نفسه سبحانه بصفات ثبوتية، تدل على الكمال والقوة والتصرف، والأمر والنهي، والقدرة والتدبير، والإرادة والمشيئة العامة، وكذا وصفه نبيه محمد ﷺ بصفات ثبوتية، حيث أثبت للمؤمنين الرؤية في الآخرة، وأثبت النزول والضحك والعجب وغيرها.

وقد تلقى ذلك كله الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ولم يردوا منه شيئًا، ولم يخوضوا في التكييف والتشبيه ونحو ذلك، بل سلَّموا لِـمَا جاء عن ربهم جل جلاله، واعتقدوا أن جميع صفات ربهم - جل جلاله - حقيقة كما وردت،

ولكنها كما يليق بالرب تعالى وتقدس، واعتقدوا أنها لا تشبه صفات المخلوقين، بل إنها مع ثبوتها بعيدة عن مشابهة المخلوقين؛ حيث إن صفاتهم يعتريها النقص والتغير والذهاب، فسمع الله تعالى عام، فهو يسمع جميع الأصوات، من جميع المخلوقات، ولا تختلف عليه اللغات، ولا تغلطه كثرة المسائل مع تفنن المسؤولات، وتعدد المطلوبات.

وكذا يبصر ويرى ولا يستر بصره حجاب، ويرى جميع ما في الكون من الذرات والخردلات، ولو كانت في حنادس الظلم، وهكذا بقية صفات الباري وأسمائه جل وعلا.

ولم يزل سلف الأمة على هذا الاعتقاد في إثبات صفات الله تعالى، يصفونه بما وصف به نفسه في محكم كتابه، وبما وصفه به رسول ﷺ في سنته، ويمرون أدلة الصفات كما جاءت، من غير تحريف ولا تأويل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تشبيه ولا تعطيل، حتى دخل في الإسلام أفراد من الفرس والروم واليونان والبربر وأفراخ اليهود والنصارى، ممن ليس لهم في الإسلام معرفة بالأحكام والأدلة، ولم يكن لهم قدم راسخة في عقيدة هذا الدين، ومع ذلك فإن في قلوبهم أو بعضهم من الحقد والبغضاء على الإسلام وأهله الشيء الكثير؛ حيث إن الإسلام هو الذي قوض بنيانهم وأزاله، وهدم أركان دينهم، ففي قلوبهم عليه وعلى أهله حقد دفين، فأرادوا أن يشككوا المسلمين في أصل عقيدتهم ودينهم، وفي كتاب ربهم، بما يوردون عليهم من الشبهات في العقيدة، وفي أصول الدين، وصفات الرب تعالى وتقدس، وفي المبدأ أو المعاد، والجنة والنار، والوحي والقرآن، ونحو ذلك.

ولقد راجت تلك الشبهات على كثير من الجهلة بأصول الإسلام، فأخذوا يروجون ما سمعوه وما خطر في قلوبهم، ويموهون على بعض الرعاع والسذج من العامة، موهمين أنهم ينزهون الرب تعالى، وأن تلك الصفات الواردة في صحيح الوحيين يُفهم من ظاهرها التشبيه والتنقص، وأنه لابد من تحريفها وصرفها عن ما يتبادر منها في أفهامنا، فعند ذلك انتبه أئمة الدين، وعلماء الأمة، وأساطين المحدثين، وفقهاء الدين، وخافوا أن تتمكن تلك الشبهات في القلوب، فيصعب علاجها، ويشق اجتثاثها من جذر القلوب، فعملوا على نشر السنة، وإعلان العقيدة السليمة، وتأييدها وتقويتها بما يوضح معناها، واستلزم ذلك الإفصاح عن المعاني والألفاظ التي قد يتوقف عنها بعض العلماء، إذا راجت تلك الكلمات، واشتهرت على الألسن مع ورودها في النصوص، كإثبات أن الله تعالى في السماء، وأنه فوق العرش قد استوى عليه، وإثبات الصفات الذاتية، والصفات الفعلية، وحقيقة عذاب القبر، وبعث الأجساد، والحوض، والميزان، والصراط، ونحوها، مما أنكره المعتزلة أو حرفوه.

وقد أكثر علماء أهل السنة من النصائح والرسائل والمؤلفات في العقيدة والسنة نظمًا ونثرًا، ومن جملة أولئك العلماء: الشيخ عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، أبوه أبو داود صاحب السنن، فإن له عقيدة نظمها في قصيدة ذكر فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، وتقع في ثلاثة وثلاثين بيتًا على قافية الحاء المهملة، وقد ذكرها ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة»، في ترجمة ابن أبي داود، وكذا ذكرها الذهبي في ترجمته من كتابه «سير أعلام النبلاء»، وقد

انتشرت وصورت مفردة، وشرحها الإمام السفاريني شرحًا موسعًا، وقد طُبع بعنوان: «لوامع الأنوار البهية».

وقد قمت بشرحها مرتين أو ثلاثًا في بعض الدورات في الرياض وفي الدمام، ولم أتوسع في شرحها بذكر الأمثلة والأدلة، والخلافات المناقشات، والرد على المخالفين، حتى لا يطول الشرح، وحتى نفرغ من الشرح في المدة المحددة.

وهذه المنظومة ذكر فيها أكثر ما يتعلق بالعقيدة، مثل القول في القرآن، وإثبات رؤية الرب تعالى وتجليه لعباده المؤمنين، مع ذكر دليل ذلك من السنة، وإثبات اليدين واليمين لله تعالى، والنزول والمجيء، مع الإشارة إلى دليل ذلك من السنة في الأحاديث الصحيحة، وذكر نفي الولد والوالد عن الرب سبحانه، وإثبات القدر، وأن الإيمان قول واعتقاد وعمل، وإثبات الحوض، والميزان، وعذاب القبر ونعيمه، والشفاعة، وفضل الصحابة، وترتيب الخلفاء الراشدين، والستة الباقين من العشرة رضي الله عنهم أجمعين، ولم يتعرض للصفات الذاتية سوى اليدين لله تعالى، ولم يذكر من الصفات الفعلية إلا النزول، وهي كالعلو والاستواء، والحب، والكراهية، والغضب، والرضا، ونحوها، ومع اختصارها فإنها كافية شافية، فجزى الله تعالى الشيخ الناظم خير الجزاء.

وهذا الشرح مؤلف من الشرحين الذين قمت بهما، وقد فرَّغه من الأشرطة فضيلة الشيخ الدكتور أخونا طارق بن محمد الخويطر، جزاه الله أحسن الجزاء، وقد قرأته وأضفت إليه قليلًا مما يحتاج إلى تكميل، وصححت

ما فيه عادة من الخطأ، وسبق اللسان، مع أن الشيخ طارق الخويطر قد صححه بعد تفريغه، وقد أذنت له في طبعه والإشراف عليه، ومتابعته وتصحيحه، وما يحتاج إليه، فهو أهل لذلك، وفيه الكفاية والقدرة، وله الحق في الطبع، والتصحيح، والإضافة، والتكميل، والحذف ونحو ذلك.

ونسأل الله تعالى أن ينفع به كما نفع بأصله، وأن يهدي ضال المسلمين، وأن ينقذهم من الزيغ ومن أسباب الردى والجهالة، والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

وكتبه

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

عضو الإفتاء المتقاعد

١٢/١١/١٤٢٨هـ



الحمد لله الملك العلام القدوس السلام المتصف بصفات الكمال على التمام المنزه عن النقائص والأوهام، ونشهد أن لا إله إلا الله واسع الرحمة والإنعام ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي بين التوحيد والاعتقاد على الدوام فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أشرف صلاة وأزكى سلام.

أما بعد فإن أهل السنة والجماعة على عقيدة راسخة متمكنة في القلوب وقد تلقوا أدلتها من كتاب الله تعالى ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته وما دعا إليه وتعبد به وما سار عليه صحابته الكرام من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان فقد هداهم الله تعالى ووفقهم وثبتهم على ما فطر عليه الناس من الإقرار بالرب العظيم المتفرد بالخلق والتدبير وهو على كل شيء قدير وقد وصف نفسه سبحانه بصفات ثبوتية تدل على الكمال والقوة والتصرف والأمر والنهي والقدرة والتدبير والإرادة والمشيئة العامة وكذا وصفه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بصفات ثبوتية حيث أثبت للمؤمنين الرؤية في الآخرة وأثبت النزول والضحك والعجب وغيرها وقد تلقى ذلك كله الصحابة رضي الله تعالى عنهم ولم يردوا منه شيئًا ولم يخوضوا في التكييف والتشبيه ونحو ذلك بل سلموا لما جاء عن ربهم جل جلاله واعتقدوا أن جميع صفات ربهم جل جلاله حقيقية كما وردت ولكنها كما يليق بالرب تعالى وتقدس، واعتقدوا أنها لا تشبه صفات المخلوقين بل إنها مع ثبوتها بعيدة عن مشابهة المخلوقين حيث أن صفاتهم يعتريها النقص والتغير والذهاب فسمع الله تعالى عام فهو يسمع جميع الأصوات من جميع المخلوقات ولا تختلف عليه اللغات ولا تغلطه كثرة المسائل مع تفنن المسؤلات وتعدد المطلوبات وكذا يبصر ويرى ولا يستر بصره حجاب ويرى جميع ما في الكون من الذرات والجزئيات ولو كانت في حنادس الظلم وهكذا بقية صفات الباري وأسمائه جل وعلا ولم يزل سلف الأمة على هذا الاعتقاد في إثبات الصفات لله تعالى يصفونه بما وصف به نفسه في محكم كتابه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته ويمرون أدلة الصفات كما جاءت من غير تحريف ولا تأويل ومن غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تشبيه ولا تعطيل حتى دخل في الإسلام أفراد من الفرس والروم واليونان والبربر وأفراخ اليهود والنصارى ممن ليس لهم في الإسلام معرفة بالأحكام والأدلة ولم يكن لهم قدم راسخة في عقيدة هذا الدين ومع ذلك فإن في قلوب بعضهم من الحقد والبغضاء على الإسلام وأهله الشيء الكثير حيث أن الإسلام هو الذي أزال وقوض بنيانهم وهدم أركان دينهم ففي قلوبهم عليه وعلى أهله حقد دفين فأرادوا أن يشككوا المسلمين في أصل عقيدتهم ودينهم وفي كتاب ربهم بما يوردون عليهم من الشبهات في العقيدة وفي أصول الدين وصفات الرب تعالى وتقدس أو في المبدأ أو المعاد والجنة والنار والوحي والقرآن ونحو ذلك ولقد راجت تلك الشبهات على كثير من الجهلة بأصول الإسلام فأخذوا يروجون ما سمعوه وما خطر في قلوبهم ويموهون على بعض الرعاع والسذج من العامة موهمين أنهم ينزهون الرب تعالى وأن تلك الصفات الواردة في صحيح الوحيين يفهم من ظاهرها التشبيه والتنقص وأنه لا بد من تحريفها وصرفها عما يتبادر منها في أفهامنا،

فعند ذلك انتبه أئمة الدين وعلماء الأمة وأساطين المحدثين وفقهاء الدين وخافوا أن تتمكن تلك الشبهات في القلوب فيصعب علاجها ويشق اجتثاثها من جذر القلوب فعملوا على نشر السنة وإعلان العقيدة السلفية وتأييدها وتقويتها بما يوضح معناها واستلزم ذلك الإفصاح عن المعاني والألفاظ التي قد يتوقف عنها بعض العلماء إذا راجت تلك الكلمات واشتهرت على الألسن مع ورودها في النصوص كإثبات أن الله تعالى في السماء وأنه فوق العرش قد استوى عليه وإثبات الصفات الذاتية والصفات الفعلية وحقيقة عذاب القبر وبعث الأجساد والحوض والميزان والصراط ونحوها مما أنكره المبتدعة أو حرفوه وقد أكثر علماء أهل السنة من التصانيف والرسائل والمؤلفات في العقيدة والسنة نظما ونثرا ومن جملة أولئك العلماء الشيخ عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني أبوه أبو داود صاحب السنن فإن له عقيدة نظمها في قصيدة ذكر فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، وتقع في ثلاثة وثلاثين بيتا على قافية الحاء المهملة وقد ذكرها ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة في ترجمة ابن أبي داود وكذا ذكرها الذهبي في ترجمته من كتابه سير أعلام النبلاء وقد انتشرت وصورت مفردة وشرحها الإمام السفاريني شرحا موسعا وقد طبع بعنوان (لوامع الأنوار البهية) وقد قمت بشرحها مرتين أو ثلاثا في بعض الدورات في الرياض وفي الدمام ولم أتوسع في شرحها بذكر الأمثلة والأدلة والخلافات والمناقشات، والرد على المخالفين حتى لا يطول الشرح وحتى نفرغ من الشرح في المدة المحددة وهذه المنظومة ذكر فيها أكثر ما يتعلق بالعقيدة مثل القول في القرآن وإثبات رؤية الرب تعالى وتجليه لعباده المؤمنين مع ذكر دليل ذلك من السنة وإثبات اليدين واليمين لله تعالى والنزول والمجيء مع الإشارة إلى دليل ذلك من السنة في الأحاديث الصحيحة وذكر نفي الولد والوالد عن الرب سبحانه وإثبات القدر وأن الإيمان قول وعمل واعتقاد وإثبات الحوض والميزان وعذاب القبر ونعيمه والشفاعة وفضل الصحابة وترتيب الخلفاء الراشدين والستة الباقين من العشرة ولم يتعرض للصفات الذاتية سوى اليدين لله تعالى ولم يذكر الصفات الفعلية إلا النزول والمجيء كالعلو والاستواء والحب والكراهية والغضب والرضا ونحوها ومع اختصارها فإنها كافية شافية فجزى الله تعالى الشيخ الناظم خير الجزاء وهذا الشرح هو أحد الشروح التي قمت بها وقد فرغه من الأشرطة فضيلة الشيخ الدكتور أخونا طارق بن محمد الخويطر جزاه الله أحسن الجزاء وقد قرأته وأضفت إليه قليلا مما يحتاج إلى تكميل وصححت ما فيه من الخطأ وسبق اللسان مع أن الشيخ الخويطر قد صححه بعد تفريغه وقد أذنت له في طبعه والإشراف عليه وما يحتاجه من إعادة وتصحيح وما يحتاج إليه مما لابد منه وله الحق في الطبع والتصحيح والإضافة والتكميل والحذف ونحو ذلك، ونسأل الله تعالى أن ينفع به كما نفع بأصله وأن يهدي ضال المسلمين وينقذهم من الزيغ ومن أسباب الردى والجهالة والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم ١٢/١١/١٤٢٨هـ.

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

متن المنظومة الحائية

قَالَ النَّاظِمُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-:

١- تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللَّـهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَى ... وَلا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

٢- وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّـهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّـهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

٣- وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيْكِنَا ... بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

٤- وَلا تَكُ فِي القُرْآنِ بِالوَقْفِ قَائِلًا ... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

٥- وَلا تَقُلِ القُرْآنُ خَلْقًا قِرَاءَةً ... فَإِنَّ كَلَامَ اللَّـهِ بِاللَّفْظِ يُوْضَحُ

٦- وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّـهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً ... كَمَا الْبَدْرُ لاَ يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

٧- وَلَيْسَ بِمَوْلُوْدٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ ... وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى الْمُسَبَّحُ

٨- وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا ... بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيْثٌ مُصَرِّحُ

٩- رَوَاهُ جَرِيْرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ ... فَقُلْ مِثْلَمَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

١٠- وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِيْنَهُ ... وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

١١- وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... بِلاَ كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدَّحُ

١٢- إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

١٣- يَقُوْلُ أَلا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... ومُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَأَمْنَحُ

١٤- رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لا يُرَدُّ حَدِيْثُهُمْ ... أَلا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوْهُمْ وَقُبِّحُوا

١٥- وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وَزِيْرَاهُ قِدَمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ

١٦- وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ ... عَلِيٌّ حَلِيْفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

١٧- وإنَّهُمُ لَلْرَّهْطُ لاَ رَيْبَ فِيْهِمُ ... عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ بِالْنُّورِ تَسْرَحُ
١٨- سَعِيْدٌ وَسَعْدٌ وَابْنِ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ ... وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالْزُّبَيْرُ الْمُمَدَّحُ
١٩- وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الْصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ ... وَلاَ تَكُ طَعَّانًا تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ
٢٠- فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِيْنُ بِفَضْلِهِمْ ... وَفِي الْفَتْحِ آيٌ لِلْصَّحَابَةِ تَمْدَحُ
٢١- وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُوْرِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ ... دِعَامَةُ عِقْدِ الْدِّيْنِ وَالْدِّيْنُ أَفْيَحُ
٢٢- وَلا تُنْكِرَنْ جَهْلًا نَكِيْرًا وَمُنْكَرًا ... وَلا الْحَوْضَ وَالْمِيْزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ
٢٣- وقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيْمُ بِفَضْلِهِ ... مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ
٢٤- عَلى النهرِ في الفِرْدوسِ تَحْيَا بِمَائِهِ ... كَحَبَّةِ حَمْلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
٢٥- وإن رَسُولَ اللَّهِ للخَلْقِ شَافِعٌ ... وقُلْ في عَذابِ القَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحُ
٢٦- ولَا تُكْفِرنْ أَهلَ الصَّلَاةِ وإنْ عَصَوْا ... فَكُلهُمُ يَعْصِي وذُو العَرْشِ يَصْفَحُ
٢٧- ولَا تعتقِدْ رَأيَ الْخَوارجِ إنَّهُ ... مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ
٢٨- ولَا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِيْنِهِ ... أَلَا إِنَّمَا المُرْجِي بِالدِّينِ يَمْرَحُ
٢٩- وقُلْ إِنَّمَا الإِيْمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ ... وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ
٣٠- ويَنْقُصُ طَوْرًا بالمَعَاصِي وتَارَةً ... بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وفي الوَزْنِ يَرْجَحُ
٣١- ودَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وقَوْلَهُمْ ... فَقَوْلُ رَسُوْلِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ
٣٢- ولا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ ... فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الحَدِيْثِ وَتَقْدَحُ
٣٣- إِذَا مَا اعْتقدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ ... فأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيْتُ وتُصْبِحُ

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه الأبيات نظمها الإمام أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث، أبوه هو الإمام صاحب السنن: أبو داود السجستاني، وقد تبع أباه في العلم، ولكن لم يكن مثل أبيه في علم الحديث، قالوا عن أبيه: أُلين لأبي داود الحديث كما أُلين لداود الحديد، فولده هذا له مكانة في العلم، وله كتب منها: كتابٌ اسمه: (المصاحف) مطبوعٌ، إلَّا أني ما وجدته كاملًا، فالطبعة التي وقفت عليها فيها شيءٌ من الخلل والنقص، ولكنه كتابٌ مفيدٌ.

وله هذه المنظومة، ذكر فيها عقيدة أهل السنة والجماعة، ولعلَّ سبب نظمها: ما ظهر في زمنه من البدع، فإنَّ البدع كثرت في ذلك الزمان وتمكَّنت، كبدعة المعتزلة، الذين يعطلون الله تعالى عن صفات الكمال، وينسبون إلى العباد خلق أفعالهم من غير قدرة الله، فأنكروا قدرة الله على كلِّ شيء، وقد اشتهروا بإنكار صفات الله تعالى الفعلية والذاتية، ويُخلِّدون أصحاب الكبائر في النار، ويشابهون الخوارج في الخروج على الأئمة إذا ظهر منهم جَور، ويُخْرجون العصاة من الإيمان، ففيهم شبهٌ كبيرٌ من الخوارج.

كذلك بدعة الرافضة، الذين يُكفِّرون جُلَّ الصحابة، ولا يستثنون إلَّا أقلَّ من العشرة، ويدَّعون أنَّهم ارتدوا حيث لم يولُّوا عليًا، ويدَّعون أنَّهم جحدوا الوصية لعليٍّ بأنَّه هو الولي وهو الإمام.

كذلك بدعة القدرية الذين ينكرون قدرة الله، أو الذين ينكرون علم الله، وبدعة المرجئة الذين يُغلِّبون جانب الرجاء، ويخرجون الأعمال من مسمَّى الإيمان، وبدعة الجبرية الذين يدَّعون أنَّ العباد مجبورون على أفعالهم، وبدعة المتصوِّفة الذين يدَّعون أنَّ الأولياء أفضل من الأنبياء، ويغلون في أوليائهم، ويجعلون لهم تصرُّفًا أكثر من تصرف الأنبياء، وما أشبه ذلك، زيادةً على البدع الفعلية.

فلما رأى علماء السلف -رحمهم الله- هؤلاء المبتدعة قد تمكنوا، رأوا أنَّه لابدَّ من التحذير منهم، فكتبوا مؤلفاتٍ تتعلق بالعقيدة، وسمَّوها باسم التوحيد، فهناك كتاب «التوحيد» لابن خزيمة، ويعني به: توحيد الصفات، وهناك كتاب «التوحيد» لابن منده، وأكثر ما يركزون عليه توحيد الصفات؛ لأنَّ الجدال والخلاف فيه، وهناك كتب باسم «السنة»، مثل: «السنة» رسالة للإمام أحمد، عقيدة جيدة، وله رسالة أخرى اسمها: «أصول السنة»، ولابنه عبد الله كتاب اسمه: «السنة»، قد طبع ثلاث طبعات، ولتلميذه أبي بكرٍ الخلال كتابٌ كبيرٌ اسمه: «السنة»، طبع في عدة مجلدات، ولابن أبي عاصمٍ كتاب: «السنة»، كل هذه مطبوعة، مما يدل على أنَّهم اهتموا بأمر عقيدة أهل السنة والجماعة.

كذلك أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، له كتاب: «الرد على الجهمية» مطبوعٌ، وكتابه: «الرد على بشر المرِّيسي» مطبوعٌ، فيه مناقشته في إنكار الصفات، كذلك البيهقي له كتاب: «الأسماء والصفات»، إلَّا أنَّه لما طُبع لأول مرة أفسده المعلِّق؛ الذي هو الكوثري، ثمَّ طُبع بعد ذلك طبعةً ليس فيها هذه

التأويلات، وله أيضًا كتاب: «الاعتقاد»، وللالكائي كتابٌ كبير اسمه: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» في عدة مجلدات، وللآجري كتابٌ كبيرٌ اسمه: «الشريعة»، ولابن بطَّة كتاب: «الإبانة الكبرى»، وله كتاب: «الإبانة الصغرى»، وهناك رسالة اسمها: «شرح السنة» للبربهاري، وكلها مطبوعة ولله الحمد، وكلها تتعلق بعلم العقيدة.

وحتى العلماء الكبار -رحمهم الله- قد ضمَّنوا العقيدة في مؤلفاتهم، فالبخاري افتتح صحيحه بكتاب الإيمان، وختمه بكتاب التوحيد، فيما يتعلق بالعقيدة والأسماء والصفات، ومسلم افتتح كتابه بكتاب الإيمان، وذكر ما يتعلق بالعقيدة، والدارمي صاحب السنن افتتح كتابه بمقدمةٍ طويلةٍ في علم العقيدة، وابن ماجه في سننه جعل مقدمة كتابه في العقيدة، وأبو داود في سننه جعل كتاب السنة في أثناء السنن، والترمذي في كتابه جعل كتاب السنة، ونحو ذلك، وكل ذلك لاهتمامهم بأمر العقيدة، فهذه كتب المتقدمين لا يستطيع أحدٌ أن يردها.

ولما اشتهر معتقد الأشعرية لم يسكتوا، ففي القرن الرابع وما بعده تمكَّن معتقد الأشاعرة، فكتبوا كتبًا في العقيدة كثيرة، نظمًا ونثرًا، فهناك كتاب: «العقائد النسفيَّة» للنسفي، على معتقد الأشعرية، فيه ملاحظات، وهناك منظومة اسمها «الخريدة» فيها ملاحظات وهي على المعتقد الأشعري، وهناك عقيدة اسمها: «الشيبانيَّة» فيها ملاحظة بيتان أو ثلاثة والبقية سليمة، وكذلك قصيدة «بدء الأمالي» في العقيدة أيضًا، فيها ملاحظات، وقد ختمها بقوله:

فَإِنِّي دَائِمًا بِالْخَيْرِ أَدْعُو   لِمَنْ بِالْخَيْرِ يَوْمًا قَدْ دَعَا لِي[(١)]

فأمره إلى الله، وقد ردَّ عليه الشيخ سليمان بن سحمان فيما لاحظه على عقيدته، التي هي «بدء الأمالي».

كذلك لهؤلاء كتب وعقائد كثيرة، ولهم عليها شروح، ومن أسلمها: «عقيدة الطحاوي»، مع أنَّ فيها بعض الملاحظات، وقد شرحها من المتقدمين فقهاء كثيرون على عقيدة الأشاعرة، ووفق الله ابن أبي العز أن شرحها على معتقد أهل السنة والجماعة؛ وذلك لأنَّه تأثر بابن كثير واتخذه شيخًا له.

ومن المتأخرين في القرن السابع كتب علماء في العقيدة، من أشهرهم: ابن قدامة صاحب «المغني»، له العقيدة المشهورة بـ «لمعة الاعتقاد»، وله رسائل تتعلق بالصفات، ولابن رجبٍ بعض الرسائل التي تتعلق بالصفات، وأظهر الله في القرنين السابع والثامن شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد كان أهل زمانه لا يقدرون على أن يصرحوا بمذهب أهل السنة في الأسماء والصفات، ولكن لما كان له مكانة عند الناس جهر بذلك، وألَّف في ذلك عشرات المؤلفات، وأظهر معتقد أهل السنة وصرَّح به، ثمَّ بعده قلَّ من يجهر به وتبعه تلميذه ابن القيم فكتب في العقيدة الصحيحة كثيراً.

ثم جاء في القرنين العاشر والحادي عشر السَّفَّاريني، فألَّف عقيدته: «الدرة البهيَّة»، ثمَّ شرحها في مجلدين كبيرين وسماها: «لوائح الأنوار البهيَّة

---

(١) البيت لسراج الدين علي بن عثمان الأوسي، المتوفى سنة خمس وسبعين وخمسمئة، ختم بها قصيدته: «بدء الأمالي» في ستة وستين بيتًا. انظر: طبقات الحنفية (١/ ٣٦٧، ٣٦٨).

وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرَّة البهيَّة في عقد الفرقة المرضيَّة»، والسفاريني حنبلي، ومنظومته فيها ملاحظات، ثمَّ إنَّه رَحِمَهُ اللَّهُ شرح أيضًا عقيدة ابن أبي داود، وطبع شرحه وسماه: «لوامع الأنوار» وتوسع في شرحه.

وبكلِّ حال فإنَّ هذه العقيدة لها مكانتها، وأبياتها سهلةٌ، وهي محتويةٌ على العقيدة التي ليس فيها خلاف بين أهل السنة، ولو خالف في ذلك معتزلةٌ، وأشعريةٌ، ورافضةٌ، وبهائيةٌ، أو غيرهم، فلا عبرة بهم؛ لأنَّها تعتمد على الدليل.

وسبب الخلاف: أنَّ هؤلاء المبتدعة خُيِّل إليهم أنَّ هذه العقيدة تخالف فِطَرَهم في نظرهم، وعقولهم لا تتلاءم مع هذه النصوص التي في الأسماء والصفات، وبالأخص: صفة العلو، وصفة الاستواء، وصفة الرفع والصعود وما أشبه ذلك، هذه الصفات كدَّرت صَفْوَهم، فلم يجدوا إلَّا أن يُسلطوا عليها أنواع التأويلات، حتى يسلموا من ورودها عليهم، وقد سموا آيات الصفات متشابه القرآن، وألَّف شيخ المعتزلة عبد الجبار الهمْداني كتابًا اسمه: «متشابه القرآن»، تسلَّط على كلِّ آيةٍ من آيات الصفات، وصرفها، وحرَّفها، وقد طبع كتابه وحقَّقه أحد المعاصرين ممن هو على مشربه، يُقال له: عدنان زرزور، ثمَّ إنَّ زرزور هذا اختصره وألَّف رسالةً في نحو مائة وخمسين صفحة، وسماها: «متشابه القرآن»، وحَمَل فيها على أهل السنة، وبالأخص: ابن تيمية؛ لأنَّه الذي انتصر لهذا المذهب.

ولَـمَّا كانت كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فيها ردٌّ على هؤلاء المؤوِّلة، صَعُبَ عليهم قبولها، ولم يجدوا إلَّا الطعن في هذين الإمامين -ابن تيمية وتلميذه- لصراحة كتبهم.

وبكلٍّ حالٍ فإنَّ عمدة أهل السنة والجماعة على النصوص، ولا يعتمدون على العقول؛ لأنَّ العقول تضطرب، فإنَّ كثيرًا من هؤلاء العقلانيين يتغيرون، فيكون أحدهم على عقيدةٍ يدَّعي أنَّ العقل يؤيدها، ثمَّ بعد ذلك يرجع عنها إلى عقيدةٍ أخرى يدَّعي أنَّ العقل يؤيدها ويخالف الأولى، ثمَّ إنَّ الجماعة قد يكون فيها اثنان عاقلان، هذا يثبت شيئًا وهذا ينفيه، هذا يقول: أثبَتُّهُ بالعقل، وهذا يقول: أنْكَرَهُ العقل!!

نعرف بذلك أنَّ أهل السنة يعتمدون الأدلة، ويقولون: إنَّ العقول ليست هي المرجع، بل المرجع الأصل هو الأدلة من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ. فهكذا ينبغي لنا أن نرجع إلى كتب سلف الأمة، ومنهم هذا النَّاظم؛ لأنهم اعتمدوا الأدلة، ولم يلتفتوا إلى تلك العقليات.

ولما كانت عمدة هؤلاء المعتزلة والأشاعرة على العقول ردَّ عليهم بعض العلماء، فابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ له باعٌ في هذه العقليات، وقد ردَّ عليهم في كتابه الكبير، الذي يُسمى في الطبعة الأولى: «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول»، وفي الطبعة الأخيرة: «درء تعارض العقل والنقل»، وذكره ابن القيم في نونيته بقوله[1]:

وَاقْرَأْ كِتَابَ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ الَّذِي ... مَا فِي الْوُجُودِ لَهُ مَثِيلٌ ثَانِ

فمدحه بذلك.

---

(١) انظر: النونية بشرح ابن عيسى (٢/ ٢٩٠).

قَالَ النَّاظِمُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-:

١- تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبِعِ الهُدَى ... وَلا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

الشرح:

هذا بيتٌ عظيم، له معنى قويٌّ كبير، مفيد عظيم، والتمسك: هو القبض بقوة وبشدة؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]، أي: تمسك به بقوة، والذي أوحي إليه ﷺ هو هذا القرآن.

وفي الحديث عن الْعِرْبَاضِ بن سارية رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ منها الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ منها الْقُلُوبُ، فقال قَائِلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هذه مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فقال: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّه مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بها، وَعَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فإن كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[1].

فالنَّاظم رحمه الله نظم هذا البيت أخذًا من هذا الحديث.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦).

قوله: (**تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللَّهِ**)، حبل الله: هو دينه وشرعه، والقرآن الكريم أيضًا يُسمى: حبل الله؛ لِـمَا جاء في الحديث الذي في سنن الترمذي[1] أنَّ النبي ﷺ قال: «**كِتَابُ اللَّهِ، فيه نَبَأُ ما كان قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ ما بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ ما بَيْنَكُمْ، وهو الْفَصْلُ ليس بِالْهَزْلِ، من تَرَكَهُ من جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى في غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وهو حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وهو الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وهو الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ...**»، فسماه حبل الله، والحبل: هو الذي يُفتل من اللِّيف أو الشعر، ويُربط فيه دلو ليُجتذب به الماء من البئر، وقد يُربط في السقف ويُتعلق به، ويعلَّق في النخلة ويُصْعَد به، أو نحو ذلك، فشبَّه القرآن والسنة بالحبل.

وأخذ ذلك -أيضًا- من قول الله تعالى: ﴿**وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟**﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والمراد بحبل الله: كتابه، وسنة نبيه، وفيهما شريعته، وفيهما دينه الذي يدان به، والذي من تمسَّك به نجا. وجعله النبي ﷺ الخط المستقيم، ففي الحديث عَنْ ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: خَطَّ لنَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا خطًّا، ثُمَّ قَال: «**هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ**»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَال: «**هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»، ثُمَّ قرأ قول الله تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ**﴾ [الأنعام:١٥٣][2]. جعل الصراط المستقيم الذي هو عليه مثل الجادة

---

(١) برقم (٢٩٠٦) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٣/ ٣٤٣)، وأحمد (١/ ٤٣٥).

التي تؤدي بمن سلكها إلى البلد التي يقصدها، وجعل الدعايات والبدع ونحوها مثل الطرق المنحرفة، وتُسمى: بنيَّات الطريق، مَنْ ركب شيئًا منها زلَّ وهلك.

وقد ضرب بعض المشايخ مثلًا لهذا الصراط المستقيم بعسيب النخلة، والذي فيه خوصٌ يتدلى، فيقول: لو أنَّ حشرةً علقت بذلك العسيب الذي طرفه في الأرض، وصعدت معه، فإن صعدت مع نفس العسيب فإنَّها تصعد إلى أعلى النخلة، وتأكل من ثمرها، فإن مالت وركبت إحدى الخوص، مشت معها قليلًا ثمَّ سقطت، فهكذا الذي يمشي مع هذا الصراط، يؤدي به إلى السلامة، ويؤدي به إلى الجنة، والذي يركب هذه المنحرفات التي هي سبلٌ، على كل سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه، سواء من شياطين الإنس أو من شياطين الجن، لا شكَّ أنَّه يَهْلِك، ويؤدي به ذلك إلى الهلاك.

قوله: (واتَّبِع الهُدَى) المراد بالهدى: البيان؛ وذلك لأنَّ الهداية في الأصل هي البيان والدلالة، إذا قلنا: اهدنا الصراط، أي: دلَّنا وأرشدنا وثبِّتنا، فنحن نسأل الله تعالى الهداية. ثمَّ إنَّ القرآن يُسمى: الهدى، وكذلك السنة، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ [التوبة:٣٣]، والمراد بالهدى: هو هذا الكتاب والسنة، هو هذا الإسلام، وهذه العقيدة، وهذا التوحيد، فإنَّه الذي يكون وسيلةً إلى الهداية، وأمَّا غيره فإنَّها ضلالات، من سلكها ضلَّ وضاع، وترك الحق، وترك الاهتداء السليم.

والاتباع: هو اتباع النبي ﷺ والسَّير على طريقته، وقد أمرنا الله تعالى بذلك.

ولـمَّا ادعى اليهود والنصارى أنَّهم أحباب الله بقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، يعني: أنَّه يحبنا ونحبه، امتحنهم الله تعالى، وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، فجعل علامة صدق المحبة: اتباع النبي ﷺ، واتباع طريقته، والسير على نهجه. فمن كان كذلك كان على الهدى، وسيحظى بهذا الأجر الكبير، ألا وهو قوله تعالى: ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

فاتباع الهدى هو اتباع سبيل النبي ﷺ، والسير على نهجه وطريقته، وهو أيضًا سببٌ لأنْ يكون من المهتدين، قال الله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، هكذا رتَّب الاهتداء على اتباعه، أي: سيروا على نهجه، وتمسكوا بسنته، واتبعوا الهدى الذي جاء به، واتركوا ما يخالف ذلك، لعلكم تهتدون.

ثمَّ يقول: (وَلا تَكُ بِدْعِيًا لَعلَّكَ تُفْلِحُ)، رأى أنَّ في زمانه كثرت البدع التي أشرنا إلى بعضها، فخاف على تلاميذه، وخاف على المسلمين الذين يقبلون نصيحته أن ينخدعوا بدعايات أولئك المضللين، وسُمِّيت تلك المذاهب بدعًا؛ لأنَّها محدثات في الدين، يدَّعون أنَّها من العقيدة، وأنَّها من الدِّيانة، وهي في الحقيقة ضلالات ومحدثات، وقد حذر منها النبي ﷺ بقوله: «وَإِيَّاكُمْ

وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فإن كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[١].

فلا تكُ بدعيًا، أي: لا تبتدعُ بما لم يأذن الله به؛ كالذين قال الله فيهم: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]، يخاطب هؤلاء المبتدعة: هل أذن الله بهذه البدع؟ ما الدليل على شرعيتها؟ ما الدليل على سنيتها؟ فلا يجدون دليلًا إلَّا مجرد العقول المضطربة.

فإذا تمسك العبد بحبل الله تمسكًا قويًا فإنَّه ولا بد سيجد من يخذِّله، ومن يحرفه ويصرفه، ومن يحاول إغوائه، ولكن لا يضر السحاب نبح الكلاب، فإذا عرفت أنَّ هذا هو الحق فسر عليه، ولا تَحِدْ عنه يمنةً ولا يسرة، ولو لقيت من ينكر عليك فإنَّك على الهدى المستقيم، وفي كلام الفقهاء والعلماء الناصحين الكثير مما يدل على ذلك، ففي مقدمة «لمعة الاعتقاد» الكثير من الآثار التي نقلها وبين أنَّها من سنن الإسلام ومن العقيدة، فيها الحث على التمسك بالسنة النبوية، وترك ما يخالف ذلك.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢١).

٢- وَدِنْ بكِتَـابِ اللَّـهِ وَالْـسُّنَنِ التِـي
أَتَـتْ عَـنْ رَسُـولِ اللَّـهِ تَنْجُـو وَتَـرْبَحُ

الشرح:

هذا البيت الثاني قريبٌ من معنى البيت الأول، فإنَّ كتاب الله هو حبل الله الذي ذكره في البيت الأول، فقوله: (وَدِنْ بكِتَـابِ اللَّـهِ)، أي: اعتقد أنَّك مطالبٌ بمعناه، وأنَّك مكلَّفٌ بتلاوته وتطبيقه، وأنَّك من أتباع القرآن، ومن الأمة التي هي أمة القرآن.

وكتاب الله هو: هذا الكتاب الذي أنزله الله على قلب نبينا ﷺ، وأنزل فيه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥]، فهو كتاب الله المتين، وهو حبله المتين، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَق عن كثرة الرد، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن:١، ٢]، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدِي إلى صراطٍ مستقيم.

فلا بدَّ أن يدين المسلم بهذا القرآن؛ بأنَّه من أهله، وبأنَّه مطالبٌ بما فيه من الأوامر والنواهي، فيمتثل الأوامر، ويتجنَّب النواهي والزواجر؛ ليكون حقًا بذلك من العاملين به، أما الذين يقرؤونه ولكنهم لا يعملون به، فإنَّه يكون حجةً عليهم، كما في الحديث المشهور: «يُمَثَّلُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلاً، فَيُؤْتَى

بِالْرَّجُلِ قَدْ حَمَلَهُ فَخَالَفَ أَمْرَهُ، فَيَتَمَثَّلُ خَصْمًا لَهُ، فَيَقُوْلُ: يَا رَبِّ، حَمَّلْتَهُ إِيَّايَ، فَشَرُ حَامِلٍ، تَعَدَّى حِدُوْدِي، وَضَيَّعَ فَرَائِضِي، وَرِكِبَ مَعْصِيَّتِي، وَتَرَكَ طَاعَتِي فَمَا يَزَالُ يَقْذِفُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالُ: فَشَأْنَكَ بِهِ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يَكُبُّهُ عَلَى مِنْخَرِهِ فِي النَّارِ، وَيُؤْتَى بِرَجُلٍ صَالِحٍ قَدْ كَانَ حَمَلَهُ، وَحَفظَ أَمْرَهُ، فَيَتَمَثَّلُ خَصْمًا لَهُ دُوْنَهُ، فَيَقُوْلُ: يَا رَبِّ، حَمَّلْتَهُ إِيَّايَ، فَخَيْرُ حَامِلٍ، حَفَظَ حِدُوْدِي، وَعَملَ بِفَرَائِضِي، وَاجْتَنَبَ مَعْصِيَتِي، وَاتَّبَعَ طَاعَتِي، فَمَا يَزَالُ يَقْذِفُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالُ: فَشَأْنَكَ بِهِ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يُلْبِسُهُ حُلَّةِ الاسْتَبْرَق، وَيَعْقُد عَلَيْهِ تَاجَ الْمُلْكِ، وَيَسْقِيْهِ كَأْسَ الخَمْرِ»[١]. فلذلك يجب على كل مؤمن أن يعمل بهذا القرآن، وليس هو خاصًا بحملته الذين يحفظونه أو يقرؤونه، بل الأمة جمعاء مأمورون بأن يدينوا به.

وقد سمعت بعض المشايخ يشرح قوله ﷺ: «وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لك أو عَلَيْكَ»[٢]، فيقول: ليس خاصًا بحملته وقرَّائه، فالأمة كلهم يكون القرآن لأفرادهم إما حجةٌ له أو حجةٌ عليه، كما أنَّ قوله ﷺ: «أَوْتِرُوا يا أَهْلَ الْقُرْآنِ»[٣]، ليس خاصًا بحملة القرآن، بل هو عامٌّ لكل أفراد الأمة، كلُّهم

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٢٩)، والبزار في مسنده كما في كشف الأستار (٢٣٣٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وأورده ابن حجر في المطالب العالية» (١٤/ ٣٨٢) بإسناد ابن أبي شيبة، وقال: «هذا إسناد حسن».

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (١٤١٦)، والترمذي (٤٥٣)، والنسائي (١٦٧٦)، وابن ماجه (١١٦٩)، وأحمد (١/ ١٤٨) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

مطالبون بهذه الأوامر.

هكذا قال: (وَدِنْ بكِتَابِ اللَّهِ)، ثمَّ قال: (وَالسُّنَنِ التِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ)، السنن: يُراد بها الأحاديث النبوية، فإنَّها سنة النبي ﷺ، والسنة تبين القرآن وتفسره، وقد أمر الله نبيه بذلك، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١٠٥].

فلا بدَّ أنَّ يتقبل أفراد الأمة هذه السنن، ويعملون بها، فإنَّ السنة وحيٌ أيضًا، وإن كانت وحيًا معنويًا، فهي قرينة الكتاب، والواجب على الأمة أن يكون عملهم بالكتاب والسنة، ولا يتركون واحدًا منهما، وقد يسَّر الله تعالى حفظ هذه الأصول، فذكر أنَّه حفظ القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، فاهتمَّ به الصحابة رضوان الله عليهم وحفظوه في قلوبهم، ثمَّ إنَّهم خافوا أن يضيع منه شيءٌ فكتبوه في هذه المصاحف، من عهد أبي بكر رضي الله عنه ولم يتركوا منه شيئًا، ولما كان في عهد عمر رضي الله عنه كتبه -أيضًا- في صحائف متتابعة، ولما كان في عهد عثمان رضي الله عنه كتبه على هذا الترتيب، وأصبح منتشرًا يقرأه البعيد والقريب، ونُقل نقلًا متواترًا، وأصبح -والحمد لله- محفوظًا.

وأما السنة فإنَّهم -أيضًا- حفظوها في صدورهم، ولكن لما كان في آخر عهد الصحابة رضي الله عنهم رأوا أنَّ هناك من يكذب فيها، فاحتاطوا ولم يقبلوا إلَّا ما أُسْند عن الثقات، فطلبوا الأسانيد التي يُعرف بها من يُقبل ومن لا يُقبل،

وقالوا: سموا لنا رجالكم؛ ليعرفوا من هو ثقةٌ ومن ليس بثقة، ثم بعد ذلك دونت وكتبت هذه السنن، وأحصيت الأحاديث، ولم يشذَّ منها شيءٌ مما هو صحيح.

وكذلك -أيضًا- احتفظوا بآثار الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك بآثار تلاميذهم؛ لأنَّهم أخذوا عن نبيهم، وكل ذلك من الاحتفاظ بسنن النبي ﷺ، فأنت إذا عملت بالوحيين رُجيَ لك النجاة، فلهذا يقول: (**تَنْجُو وَتَرْبَحُ**)، أي: تنجو من البدع والانحراف، وتنجو من المهالك، وتنجو من العذاب، وتكون من الرابحين، الذين ربحوا في دنياهم؛ ربحوا الخير والأعمال الصالحة.

٣- وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا ... بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

الشرح:

أي: أنَّ القرآن كلام مليكنا؛ كلام الله جل وعلا، وأنَّه ليس بمخلوق، تكلَّم به حقيقة، منه بدأ وإليه يعود، وليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف.

وسبب اهتمام السلف -رحمهم الله- بالقرآن وأنَّه كلام الله: أنَّ المعطلة عطَّلوا الربَّ -سبحانه وتعالى- عن الكلام، وقالوا: لا يمكن أن يتكلم، وقالوا: إنَّ الكلام لا يكون إلَّا من اللَّهوات، وبلسان، وشفتين، وحنجرة، ونَفَسٍ، وهذا لا يمكن إلَّا في مخلوقٍ أو في حادث؛ فلأجل ذلك قالوا: إنَّ الله لا يتكلم. ولَـمَّا أُورِد عليهم القرآن قالوا: إنَّه مخلوق؛ كما خُلقت السموات والأرض والبشر.

هكذا جعلوه مخلوقًا؛ ليتخلصوا ـ كما زعموا ـ من هذا الإيراد الذي قد يرد عليهم، فعطلوا الرب -عز وجل- عن الكلام.

ولا شكَّ أنَّ هذا تنقُّص، فإنَّ صفة الكلام صفة كمال، وأنَّ نفيها نقص، وأيُّ نقصٍ من الذي لا يتكلم ولا يفصح بالكلام، وهم بذلك قد خالفوا الأدلة الصريحة الواضحة في القرآن وفي الأحاديث، ففي القرآن قول الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [البقرة:٧٥]، ما الذي يسمعونه؟ هو هذا القرآن، سماه كلام الله، ومن الأدلة

كذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦]، أخبر بأنَّ هذا القرآن الذي يسمعه هو كلام الله، وإن كان بواسطة القارئ؛ ومن الأدلة أيضًا قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾[الفتح: ١٥]، فأخبر بأنَّه قول الله، وأنَّه كلام الله، وتكرر ذلك في القرآن كثيرًا.

أما الأدلة من السنة: ففي الحديث أنَّ النبي ﷺ كَانَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ على الناس في المَوْقِفِ، فقال: «**ألا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إلى قَوْمِهِ، فإن قُرَيْشًا قد مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي**»[1]، فدلَّ: على أنَّه يدين بأنَّه كلام الله.

وفي حديث آخر أن النبي ﷺ قال: «**يقول الرَّبُّ -عز وجل-: من شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عن مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ما أُعْطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلامِ اللهِ على سَائِرِ الْكَلامِ كَفَضْلِ اللهِ على خَلْقِهِ**»[2]، فأسند الكلام إلى الله عز وجل.

وكذلك في القرآن إسناد الكلام إلى الله تعالى، كقوله عز وجل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾[الأنعام:١١٥]، وقوله جل وعلا: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ﴾[الأعراف:١٣٧]،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٤١١)، وابن ماجه (٢٠١)، وأحمد (٣/ ٣٩٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٢٦) وحسنه، والدارمي في سننه (٣٣٥٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/ ٦٦): «أخرجه الترمذي ... ورجاله ثقات، إلا عطية العوفي ففيه ضعف».

وقولـــه جـــل جلالـــه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٩]، ونحو ذلك كثير.

وقد أخبر الله تعالى بأنَّ كلامه ليس له نهاية، كما في قوله جل وعلا: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[الكهف:١٠٩]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[لقمان:٢٧]، وكيف تنفد وهي ليس لها بداية ولا نهاية؟! كل ذلك ردٌّ على هؤلاء الذين ينكرون أنَّ الله متكلِّم، ويجعلون القرآن كلام البشر، أو أنَّه ليس كلام الله، بل إنَّه مخلوق.

فالمعتزلة ينكرون أن يكون الله متكلِّمًا، وينكرون أنَّ يكون القرآن كلامه، بل عندهم مخلوق، وقاربهم الأشعرية وقالوا: إنَّ هذا القرآن ليس هو كلام الله بالحروف، ولكنه بالمعنى. فيقولون: إنَّ كلام الله المعاني، أو أنَّه فيضٌ فاض على الروح، أو على القلم، أو نحو ذلك. فيجعلون القرآن كلام الله، يعني: بالمعاني لا بالألفاظ، ويسلبون عن الله تعالى صفة الكلام، بمعنى: الكلام المسموع، ويردون الأحاديث التي في ذلك، مثل قوله ﷺ: «إذا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سمع أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ على الصَّفَا فَيُصْعَقُونَ، فلا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حتى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حتى إذا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عن قُلُوبِهِمْ، قال:

فَيَقُولُونَ: يا جِبْرِيلُ مَاذَا قال رَبُّكَ؟ فيقول: الحَقَّ، فَيَقُولُونَ: الحَقَّ الحَقَّ»[١]، أخبر: بأَنَّه تكلم بالوحي.

فيُقال لهؤلاء المعطلة: إنَّكم على هذا لم تثبتوا صفة الكمال لله عز وجل، وأكثر ما يستدلون به: بيتٍ مكذوبٍ ينسبونه للأخطل، وهو قوله[٢]:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا   جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلَا

وقد ردَّ عليهم شيخ الإسلام في كتاب الإيمان[٣] هذا الدليل، ونقل كلامه شارح الطحاوية، وقال: «ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين، لقالوا: هذا خبر واحد! ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول والعمل به، فكيف وهذا البيت قد قيل: إنه موضوع منسوب إلى الأخطل، وليس هو في ديوانه؟!»[٤]. ولذلك يقول شيخ الإسلام في قصيدته اللامية[٥]:

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٨)، وابن حبان (١/ ٢٢٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) تمهيد الأوائل للباقلاني (ص٢٨٤)، وأصول الدين للغزنوي (ص١٠٢)، وشرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني (٢/ ١٠٢)، وإحياء علوم الدين للغزالي (١/ ١٠٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢٩٦)، (٧/ ١٣٨، ١٣٩).

(٤) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص١٩٨).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢٩٦، ٢٩٧)، وقد شرحها سماحة الشيخ عبدالله بن جبرين وشرحه مطبوع.

قُبْحٌ لِمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ وَرَاءَهُ وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ

هذا عمدتهم: ينبذون الكتاب والآيات، ويقولون: قال الأخطل.

وذكر ذلك -أيضًا- ابن القيم في النونية[1]، فقال:

وَدَلِيلُهُمْ فِي ذَاكَ بَيْتٌ قَالَهُ فِيمَا يُقَالُ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِي

فيقال: هذا البيت إذا ثبت فإنَّه لنصراني كافر، والنصارى قد ضلُّوا في مسألة الكلام.

وعلى كلِّ حالٍ: فإنَّ مقالتهم باطلة؛ حيث زعموا أنَّ القرآن ليس هو كلام الله بالحروف، وإنَّما بالمعاني، وأنَّ الله لم يتكلم كلامًا مسموعًا، وإنَّما كلام الله فيضٌ فاض على النفوس، أو على اللوح أو نحو ذلك، فعطلوا بذلك هذه الصفة العظيمة، التي هي صفة الكلام.

فنحن نقول: إنَّه كلام الله، حروفه ومعانيه.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا**)، الأتقياء: هم علماء الأمة الذين عملوا بعلمهم، فإنَّهم يدينون بأنَّه كلام الله حقًا، تكلَّم به، وأسمعه الملك، وكذلك له كلامٌ في سائر كتبه، فالتوراة كلام الله، والإنجيل والزبور والكتب التي أنزلها على الأنبياء هي كلام الله، وقد ذكر الله تعالى أنَّه كلَّم بعض عباده، ومنهم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قوله جل شأنه: ﴿**وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا**﴾

---

(١) انظر النونية بشرح ابن عيسى (١/ ٢٦٤).

[النساء:١٦٤]، وأكد ذلك بقوله عز وجل: ﴿تَكْلِيمًا﴾، وكذلك قال سبحانه: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾[البقرة:٢٥٣].

ولما أراد بعض المعتزلة أن يحرِّف هذه الآية، وجاء إلى أبي عمرو بن العلاء، أحد القراء، وقال له: أريد أن تقرأ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّـهَ مُوْسَى﴾، بنصب لفظ الجلالة، يعني: أنَّ موسى عليه السلام ليس هو المكلَّم، ولكنه المتكلِّم، أي: كلَّم موسى عليه السلام ربَّه، فقال له أبو عمرٍو رحمه الله: فكيف تفعل بقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، فإنَّك لا تستطيع أن تحرفها؟![1]

فأُسقط في يده ذلك المعتزلي وانقطع.

وكذلك -أيضًا- ذكر الله تعالى: أنَّه ناداه في قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء:١٠]، وفي قوله جل وعلا: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه:١١، ١٢]، والنداء لا يكون إلَّا بكلامٍ مسموع، هذا هو الذي تعرفه العرب، ولا يكون بالإشارة.

يقول الشاعر[2]:

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النّدَاء ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ
فَقَلْتُ ادعُ أُخْرَى وارْفَعِ الصَّوْتَ جَهْرَةً ... لعلَّ المغْوَار مِنْكَ قَرِيبُ

---

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص١٨٢)، وبيان تلبيس الجهمية (٢/ ١٢)، والصواعق المرسلة (٣/ ١٠٣٧)، وذُكر أن السائل هو عمرو بن عبيد المعتزلي.

(٢) البيت لكعب بن سعد الغنوي، انظر: طبقات فحول الشعراء (١/ ٢١٢).

ويقول غيره[١]:

فقلتُ ادْعِي وأدْعُو إنَّ أنْدَى ... لِصَوْتٍ أنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ

فجعله صوتًا، وجعله نداء (أنْ يُنادِيَ)، فلا يكون النداء لموسى عليه السلام إلَّا بكلام.

وكذلك أخبر الله أنَّه ينادي أهل القيامة، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [القصص:٦٢]، في ثلاث آياتٍ في سورة القصص، وكذلك قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]، فهذه أدلة ظاهرة في أنَّ الله تعالى متكلِّمٌ ويتكلَّم.

(١) البيت لدثار بن سنان، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٣٩٨).

٤- وَلا تَــكُ فِي القُــرْآنِ بِــالوَقْفِ قَــائِلا
كَــمَا قَــالَ أتْبَــاعٌ لِجَهْــمٍ وَأَسْــجَحُوا

الشرح:

يعني: أنَّ هناك من الجهمية من يقفون، فإذا سُئِلوا: هل القرآن كلام الله؟ قالوا: نتوقف، لا نقول إنَّه كلام الله، ولا غير كلام الله.

فلا تكُ واقفيًا مثل هؤلاء الواقفة، فإنَّهم حيارى؛ وذلك لأنَّهم ما جزموا بما أخبر الله به، فقد أخبر الله تعالى بأنَّ القرآن كلامه، وكذلك -أيضًا- أخبر به النبي ﷺ، فإذا قالوا: لا نقول مخلوق أو غير مخلوق، ولا نقول: إنَّ الله تكلم به أو لم يتكلم به. قلنا: أنتم من الواقفة الذين هم أقرب إلى مذهب التعطيل، الذي هو مذهب الجهم.

فالواجب: الجزم بأنَّ القرآن كلام الله، ولا نقول كما قال أتباع الجهم، الذين (**أَسْجَحُوا**)[1]، يعني: وُصفوا بأنَّهم على هذه المقالة، وافتخروا بذلك، فهذه -أيضًا- مقالة سيئة، مقالة الذين قالوا: إنَّه مخلوق، ومقالة الذين قالوا: لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، ولا نقول كلام الله ولا غير كلام الله.

والواجب الإفصاح بأنَّ القرآن كلام الله.

---

(١) قال أبو زيدٍ: «رَكِبَ فُلانٌ سَجِيحَةَ رَأْسِه وهو ما اختارَه لنفْسه من الرَّأْيِ فرَكِبه». انظر: تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (٤/ ٧٥)، ولسان العرب (٢/ ٤٧٥).

٥- وَلا تَقُــلِ القُــرْآنُ خَلْقًــا قِــرَاءَةً
فَــإِنَّ كَــلاَمَ اللَّــهِ بِــاللَّفْظِ يُوْضَــحُ

الشرح:

هذه أيضًا مقالة قالها بعضهم، وهي قولهم: «إنَّ لفظي بالقرآن مخلوق»، أي: إن قراءتي وحركاتي وتلفظي بالقرآن مخلوق. ولما جاءت هذه المقالة أنكرها بعضهم، لكن نُقل عن البخاري أنَّه يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، وقَصْدُ البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ البيان أنَّ حركات الإنسان مخلوقة، حركات لسانك، وحركات شفتيك، سواءً بالحروف التي هي كلام الله، أو بغير ذلك من الكلمات، ولما قال ذلك أنكروا عليه[1]، فألَّف رسالته المشهورة، بعنوان: «خلق أفعال العباد»، وقد طُبعت مرارًا، وبيَّن فيها أنَّ أفعال الإنسان كلها مخلوقة؛ وذلك ردٌّ على المعتزلة الذين يقولون: إنَّ الإنسان هو الذي يخلق فعله، وليست أفعاله خلقًا لله. ولذلك يقولون: إنَّ قدرة العبد أقوى من قدرة الله على أفعاله. ويسمون ذلك العدل، ويقولون: لو أنَّ الله خلق فيك المعاصي ثمَّ عاقبك لكان ظالمًا. فأراد البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ الردَّ عليهم بأنَّ أفعال العباد مخلوقة، وقد اتُّهِمَ: بأنَّه يدعي أنَّ القرآن مخلوق وحاشاه.

---

(١) انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٣)، وتاريخ دمشق (٥٨/ ٩٤)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٥٧)، وشرح علل الترمذي لابن رجب (١/ ٤٩٦)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٠٣، ٥٣٥).

ومع ذلك صار السلف يتجنبون هذه الجملة (لفظي بالقرآن مخلوق)، ويقولون: لا تقل لفظي بالقرآن مخلوق، ولا لفظي بالقرآن غير مخلوق، بل القرآن كلام الله، كيفما تُلِي، وكيفما قُرِئ، وكيفما كُتِب، لا يخرجه شيءٌ من ذلك عن كونه كلام الله؛ ولهذا كان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع، ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع أيضاً»[١].

فإذا سمعنا القرآن من القارئ فإنَّا نقول: هذا كلام الله، أو نقول كما قال بعض السلف: «الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري»[٢]، فالكلام الذي يقوله وينطق به: هو كلام الله عز وجل، والصوت هو صوت هذا المتكلم، فصوته مخلوق، وحركات شفتيه مخلوقةٌ، ولكن الذي يتلفظ به هو كلام الله حقًا.

وقد أنكر بعضهم إنكارًا شديدًا على من يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، حيث يخافون أن يُراد بـ "لفظي" ما أتلفظ به، أي: هذه الكلمات التي أتلفظ بها أنَّها مخلوقة، فيؤدي إلى اعتقاد أنَّهم يدينون بهذا القول: أنَّ القرآن مخلوق، فيقولون: «القرآن كيفما تُلي أو كُتب أو سُمع، فهو وحي الله وتنزيله،

---

(١) انظر: السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١/ ١٦٣ وما بعدها)، وتلبيس إبليس (ص١٠٩)، والعلو للذهبي (ص١٩٢).

(٢) انظر: خلق أفعال العباد (ص٦٢)، وشرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣٥٥)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٥٣)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص١٩٤).

غير مخلوق»[١].

صحيحٌ أن الأوراق التي يُكْتَب فيها مخلوقة، وكذلك مداد الحبر الذي يُكْتَب به مخلوق، ولكن الكلمات التي هي الحروف أو الألفاظ المكتوبة هي كلام الله، وكلام الله كسائر صفاته.

وقد اشتهر القول: بأنَّ القرآن مخلوقٌ في آخر القرن الثاني وأول القرن الثالث، ثمَّ إنَّ أولئك المعتزلة اتَّصلوا بأحد الخلفاء، وهو الخليفة العباسي المأمون، وزينوا له أن يقول بهذه العقيدة، فقال بها، واعتقد أنَّها حق، وأنَّ القرآن مخلوق، ولما قال ذلك بتزيينٍ وزيرٍ له يقال له: ابن أبي دؤاد، وهو معتزليٌّ معلنٌ لاعتزاله، زيَّن له أن يَمْتَحن الناس، وأن يجلد أو يسجن من لم يدن بذلك، فوافقه كثير من العلماء في ذلك الزمان، ووصلت النوبة إلى الإمام أحمد، فقيدوه، وأرادوا أن يذهبوا به إلى المأمون في بغداد، فدعا الله أن لا يريه وجهه، فمات المأمون قبل أن يصل إليه، ولما جاء وإذا الخليفة أخوه المعتصم، وكان قد أوصاه بأن يكمِّل ما يقوله، ويمتحن الأئمة، فامتحن الإمام أحمد، وجمع له خلقًا كثيرًا، وقال: ناظروه حتى تغلبوه، فناظروه، وقطعهم، وبيَّن لهم الأدلة، ولم يستطيعوا أن يأتوا بدليل إلَّا شبهات لفَّقوها، فقال لهم: إنَّ كلام الله من علم الله، وعلم الله صفةٌ من صفاته، لا يقال إنَّ شيئًا من صفاته مخلوق، وتجرأ بعضهم وقال: إنَّ علم الله مخلوق، فقال: من قال ذلك فقد كفر.

---

(١) انظر: لسان الميزان (٢/ ٤٢٣)، وميزان الاعتدال (٣/ ٢١-٢٨).

واشتهر أنَّ المعتصم أمر بجلده، وشدَّد في الجلد عليه حتى يقول بخلق القرآن، لكنه امتنع من ذلك، فأودع السجن، وطال سجنه، ثمَّ بعد ذلك أُخرج من السجن، واستمر على قوله، وبقي آخرون يُمتَحنون في هذا، فمنهم من وافق، وادَّعى أنَّ موافقته لأنَّه مكره، ومنهم من تمسك بقوله وصبر على الابتلاء والمحنة.

فالحاصل: أنَّ المعتصم هو الذي تولى محنة الإمام أحمد، ثمَّ بعده ابنه الواثق، وقد خفَّف الفتنة، ثمَّ بعده ابنه المتوكِّل، وهو الذي أزال الفتنة، وأعاد نصر السنة، هذا ما يتعلق بهذه العقيدة، وهي: اعتقاد أنَّ القرآن مخلوقٌ، ومن قال: إنَّه مخلوق فقد خالف ما يعتقده أهل السنة، واعتقاده باطل، والعياذ بالله.

٦- وَقُـلْ يَـتَجَلَّى اللَّـهُ لِلْخَلْـقِ جَهْـرَةً
كَـمَا الْبَـدْرُ لاَ يَخْفَـى وَرَبُّـكَ أَوْضَـحُ

الشرح:

جاءت أحاديث كثيرة في إثبات أنَّ الله تعالى يتجلى لعباده في الجنة، وأنَّهم ينظرون إليه، وأنَّ النظر إليه ألذُّ عندهم من كلِّ النعيم الذي كانوا فيه، هكذا جاءت الأدلة في مسألة الرؤية وإثباتها، وقد ذكرها ابن القيم - رحمه الله - في كتابه: «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية»، وتوسع فيها في كتابه: «حادي الأرواح»[1]، الذي يتعلق بأبواب الجنة.

وذكر أنَّ هذا الباب هو أشرف أبواب الكتاب؛ وذلك لما فيه من هذا النعيم، الذي يختص به أولياء الله وأهل الجنة، ثمَّ استدل عليه بسبع آيات من القرآن:

الآية الأولى: سؤال موسى عليه السلام في قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، دليلٌ على الإمكان، أي: لا يقال إنَّ موسى عليه السلام أجهل بالله منكم أيها المعتزلة، وفيها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، إذا جاز أن يتجلَّى للجبل فكيف لا يتجلَّى للمؤمنين؟!

الآية الثانية: قوله عز وجل: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾

(١) الباب الخامس والستون في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة كما يُرى القمر ليلة البدر (١/ ١٩٦ - ٢٤١).

[الأنعام: ١٠٣]، المراد بالإدراك هنا: الإحاطة، أي: متى نظرت إليه الأبصار فإنَّها لا تدرك كنهَهُ، أي: لا تحيط به، فإنَّ هناك فرقٌ بين الإدراك وبين الرؤية، أي: تراه بدون إدراك.

وقد ورد عن عكرمة رحمه الله أن ابن عباس رضي الله عنهما فسَّر قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم:١٣]، فقال: إن النبي ﷺ رأى ربه عز وجل، فقال له رجلٌ: أليس قد قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[الأنعام: ١٠٣]، فقال له عكرمة: ألستَ ترى السماء؟ قال: بلى، قال: فكلّها ترى؟[1].

كذلك إذا نظرنا إلى القمر فقد رأيناه، ولكن هل رأيناه كله، هل نعرف ماهيَّته؟ هل هو من زجاج؟ هل هو من تراب؟ هل هو من حجارة؟ هل هو من مروٍ أو صفاءٍ أو نحو ذلك؟ لا ندري، فهذا الفرق بين الرؤية وبين الإدراك، فمعنى ذلك: متى رأته الأبصار لم تُدرك ماهيَّته، فدلَّ: على أنَّها دليلٌ عليهم لا لهم.

الآية الثالثة: آيات اللقاء؛ كقوله جل وعلا: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف:١١٠]، وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [يونس: ٧]، يقول: اللقاء لا يكون إلَّا مقترنًا بالرؤية، والعرب لا تطلق لقيته إلَّا بالرؤية، فتكون دليلاً على إثبات أنَّ المؤمنين يلقون ربهم، يعني: يرونه بأعينهم.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٧/ ٥٢)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٦٣)، والدارقطني في رؤية الله (ص١٨٧).

الآية الرابعة: قول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى، فسرها بذلك الصحابة رضوان الله عليهم، ورُوِي ذلك مرفوعًا، كما في حديث صهيب رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم في صحيحه[1] وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخل أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يقول الله تبارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شيئا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وتنجينا من النَّارِ، قال: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فما أُعْطُوا شيئا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ من النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ عز وجل**». ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

الآية الخامسة: قول الله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، المزيد: هو الرؤية.

الآية السادسة: قوله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، دليلٌ على أنَّ الكفار محجوبون، وأنَّهم يعذَّبون بالحجاب، فلا يكون المؤمنون مثلهم -أيضًا- محجوبين.

الآية السابعة: وهي أشهرها، قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وهي من أصرحها.

---

(١) برقم (١٨١).

ثمَّ بعد ذلك أورد الأحاديث، وذكر أنَّها رواها أكثر من خمسة وعشرين صحابيًّا، أو قريبًا من ثلاثين. فهكذا عند أهل السنة إثبات رؤية المؤمنين لربهم -تبارك وتعالى- في الجنة، كما يشاء.

٧- وَلَـيْسَ بِمَوْلُـوْدٍ وَلَـيْسَ بِوَالِـدٍ وَلَـيْسَ لَـهُ شِـبْهٌ تَعَـالَى المُـسَبَّحُ

الشرح:

أخذ هذا من سورة الإخلاص، التي بها ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٣، ٤]، الكفو: هو الشبيه، بمعنى: أنَّ الله تعالى نزَّه نفسه عن أن يكون له ولدٌ، وأنكر على النصارى الذين قالوا: إنَّ عيسى ابن الله، واليهود عزيرٌ ابن الله، وقالوا: الملائكة بنات الله، أنكر على الجميع؛ وقال: ما اتخذ الله من ولد، يعني: أنَّه يتعالى عن ذلك؛ لأنَّ الولد يشبه الوالد، فالله تعالى غنيٌّ عن أن يكون له شبيه.

قوله: (وليس له شبهٌ) أي: مشابه؛ لقوله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١].

قوله: (تعالى المسبَّحُ)، يعني: تعالى الذي يسبح، يعني: ينزِّهه عباده.

٨- وَقَــدْ يُنْكِـرُ الجَهْمِـيُّ هَـذَا وَعِنْـدَنَا
بِمِـصْدَاقِ مَـا قُلْنَـا حَـدِيْثٌ مُـصَرِّحُ

٩- رَوَاهُ جَرِيْــرٌ عَــنْ مَقَــالِ مُحَمَّــدٍ
فَقُـلْ مِـثْلَمَا قَـدْ قَـالَ فِي ذَاكَ تَـنْجَحُ

الشرح:

هـذا الحـديث هـو أصرح الأحاديـث، مـرويٌّ في الـصحيحين، مـن طريـق جرير بن عبـد الله الـبجلي رضي الله عنه، قـال: كنـا عِنْدَ النبي ﷺ فَنَظَرَ إلى الْقَمَـرِ لَيْلَـةَ الْبَدْرَ، فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَـرَوْنَ هـذا الْقَمَـرَ، لَا تُـضَامُّونَ في رُؤْيَتِـهِ، فَـإِنْ اسْـتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُـوا عـلى صَـلَاةٍ قبـل طُلُـوعِ الـشَّمْسِ وَقَبْـلَ غُرُوبِهَـا فَـافْعَلُوا**»[1]، يريـد صـلاة العـصر وصـلاة الفجـر، قيـل: الـسبب أنَّ أهـل الجنـة -الذين هم الأبرار، وهم المقربون- يرون ربهم تعـالى في هـذين الـوقتين: بكـرةً وعشيًا، أُخِذَ ذلك من قوله تعـالى: ﴿ **وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾ [مريم: ٦٢]، فمن واظب على هـاتين الـصلاتين، وأداهمـا بأوقـاتها دون أن يخـل بـشيءٍ منهـما فإنَّه يكون من الذين يفوزون برؤية الله، ويتنعمون بها في هذين الوقتين.

هذا الحديث رواه إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حزم عـن جريـر، فأما قيس فرواه عنه جماعةٌ غير إسماعيل، ولما رواه إسـماعيل بـن أبي خالـد تلقَّـاه النـاس عـن إسـماعيل، يمكـن أنَّ الـذين حـدثوا بـه عـن إسـماعيل بـن أبي خالـد

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

يزيدون عن مائتين، أو يقربون منها، سرد ابن القيم أسماء عدد كثير قد يبلغون الستين أو السبعين، الذين حدثوا به، ومنهم أئمة أجلاء، كمالك بن أنس، والليث بن سعد، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، وحماد بن زيد، وإسماعيل بن أمية، وحماد بن سلمة، وسفيان بن عيينة ونحوهم من الأكابر، كلهم رووا هذا الحديث، ولم يستنكروه، ولم يردوه، ولم يتأوَّلوه، بل حدَّثوا به وقبلوه.

وتأيَّد هذا الحديث -أيضًا- بأحاديث أخرى، منها: حديثٌ عن أبي موسى، قوله ﷺ: **«جَنَّتَانِ من فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وما فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ من ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وما فِيهِمَا، وما بين الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إلى رَبِّهِمْ إلا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ على وَجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ»**[١]. رداء الكبرياء يعني: أنَّه إذا كشفه فإنَّهم ينظرون إليه.

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: **«إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ- لَا يَنَامُ، ولا يَنْبَغِي له أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ...»**، إلى قوله: **«حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»**[٢]، فأخبر: بأنَّه احتجب بالنور؛ ولذلك لما تجلى للجبل الشامخ اندكَّ الجبل من تجليه ونظره أو رؤيته لشيءٍ من نور الله جلَّ جلاله، فهكذا تكون عظمة الخالق سبحانه وتعالى.

وكذلك -أيضًا- ثبتت الأحاديث الكثيرة في ذلك، ومن أشهرها: حديث

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ نَاسًا في زَمَنِ رسول الله ﷺ قالوا: يا رَسُولَ الله هل نَرَى رَبَّنَا يوم الْقِيَامَةِ؟ قال رسول الله ﷺ: «**نعم، هل تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا ليس مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا ليس فيها سَحَابٌ؟**» قالوا: لَا يا رَسُولَ الله، قال: «**ما تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يوم الْقِيَامَةِ إلا كما تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا**»(١).

كذلك -أيضًا- مثل هذا الحديث، إلَّا أنَّه أقصر منه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، سياقهما متقارب، إلاَّ أنَّ حديث أبي سعيدٍ أوسع.

قوله: (وقد ينكر الجهميُّ هذا)، يعني: هذه الصفة.

فنقول: إنَّ هؤلاء الجهمية عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون، هذا جزاؤهم، أنَّهم لما أنكروا هذه الرؤية عوقبوا بأنَّهم لا ينظرون إلى الله، ويكونون من المحجوبين، والمحجوبون هم الكفار.

وقد شنَّعوا على أهل السنة؛ وقالوا: إنَّ هذا دليل على أنَّكم مشبِّهة، فإنَّ الرؤية لا تكون إلَّا بالمقابل، ولا يمكن أن تكون هناك رؤيةٌ بصرية إلَّا مع المقابلة، وعندهم أنَّ هذا مستحيل لا يمكن.

والأشاعرة أقروا بالرؤية، ولكن اسمًا لا حقيقة؛ وذلك لأنَّهم يعتقدون أنَّ الرؤية قلبية وليست بصرية، فيدَّعون أنَّ الرؤية إنَّما هي مكاشفات قلبية، لا أنَّهم يرون ربهم بأبصارهم معاينة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣).

فهكذا مذهب المعتزلة، الذين أصلهم الجَهم، ومذهب الأشاعرة، وإن كان أبو الحسن الأشعري رحمه الله قد خالف ذلك، فقد ألف أكثر كتبه على المذهب الأشعري الذي اشتهر، ثمَّ بعد ذلك تراجع ورجع إلى مذهب أهل السنة، لكن الذين يقلدونه لا يزالون على مذهبه الذي رجع عنه.

والمعتزلة -أيضًا- لا زال لهم بقايا، وجميع الرافضة على مذهب المعتزلة بإنكار الصفات، ومن جملتها: إنكار الرؤية.

كذلك -أيضًا- هذه الطائفة التي في عمان -طائفة الإباضية- على هذا المذهب. والمفتي عندهم؛ الذي هو أحمد بن حمد الخليلي، يتظاهر بذلك، وله مؤلف طبع عام ١٤٠٧هـ، وسماه: «الحقُّ الدَّامغ»، وبدأه بإنكار الرؤية، وبالغ في تأويل الآيات، وفي تأويل الأدلة وردَّها؛ وذلك لأنَّ من قواعدهم أنَّ أخبار الآحاد التي ما بلغت حدَّ التواتر لا تقبل.

وقد ردَّ عليه بعض المشايخ، وفهم صابر طعيمة، كذلك -أيضًا- عام ١٤١٢هـ كان في قطر الشيخ محمود الطحان -وفقه الله- ألقى محاضرة قويَّة في إثبات الرؤية، وسُجِّلت، ووصلت أشرطتها إلى عمان، ولما وصلت إلى عمان خاف المفتي عندهم أنَّها تغير معتقد الإباظية، فردَّ عليها بمحاضرةٍ، ثمَّ فُرِّغت تلك المحاضرة له، ثمَّ طبعت بعنوان: «وسقط القناع»، وتكلف في الرد، وبالغ -أيضًا- في كثيرٍ من الصفات، وبالغ في مدح طائفتهم، وذكر أنَّهم هم أهل السنة، وأنَّهم أولى بالصواب، وبالغ في الإنكار على أهل السنة، ووصفهم بالتشبيه، وبالأخص أهل المملكة، وذكر أنَّهم يفعلون كذا وكذا، وأنَّهم يقتلون

الأبرياء، وأنَّهم وأنَّهم.

ولا شكَّ أنَّ لكلِّ قومٍ وارث، وهؤلاء من ورثة المعتزلة.

ولما كتبت امرأةٌ عندهم رسالة تتعلق بإنكار الرؤية، وناقشوها، أعطوها درجة الدكتوراه بامتياز، كلُّ كلامها يتعلق بإنكار الرؤية.

فعرفنا بذلك أنَّ أهل السنة يقبلون هذه الأدلة، ويقولون: نثبت الرؤية كما يشاء الله، ولا نتكلَّف في كيفيتها، بل هي رؤيةٌ حقيقيةٌ دون أن نتكلَّف في تكييفها أو ما أشبه ذلك، ونقبل الأحاديث ولو كانت أحاديث آحاداً؛ لأنَّها مرويةٌ بأسانيد صحيحة، وقد ألَّفوا رسالة، وزعوا منها كميةً كثيرة في الحرم الشريف، عنوانها: «السيف الحاد على من يقبل الآحاد أو على من يستجيب لأحاديث الآحاد أو لأخبار الآحاد»، صوروا فيها صورة السيف، وردَّ على رسالتهم أحد الشباب، ولما انتشر ردُّه غضب أولئك الذين ألفوا هذه الرسالة من تلامذة الخليلي، وألفوا رسالةً توسعوا فيها، والكلام عندهم سهلٌ، وجلَّ كلامهم في تأويل الأدلة وردها.

١٠- وَقَـدْ يُنْكِـرُ الجَهْمِـيُّ أَيْـضًا يَمِيْنَـهُ
وَكِلْتَـا يَدَيْـهِ بِالْفَوَاضِـلِ تَـنْفَحُ

الشرح:

في هذا -أيضًا- إثبات صفة اليد للرحمن؛ ذلك أنَّ الله تعالى أثبت لنفسه اليد واليدين، وأثبتهما له نبيه ﷺ، فقد جاء ذكر اليد في قول الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك: ١]، وقوله عز وجل: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦]، ويراد باليد هاهنا: جنس اليد.

وجاء ذكر اليد بالجمع في قوله جل وعلا: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس: ٧١]، جمع الأيدي: أيدينا؛ وذلك لأنَّ اليد هنا أضيفت إلى ضمير الجمع (نا)، فناسبها الجمع؛ لأنَّ الجمع يراد به التعظيم، والله تعالى يذكر نفسه بلفظ الجمع للتعظيم: ﴿قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ﴾ [الزخرف:٣٢]، مع أنَّه واحد، ولكن للتعظيم، وكذلك قوله جل شأنه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾[يوسف:٢]، قوله عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا﴾[الفتح: ١]، الضمير بالجمع للتعظيم، فكذلك قوله جل وعلا: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾، الجمع للتعظيم، وإلَّا فإنَّ الصحيح: أنَّ لله تعالى يدان، ذكرتا في قوله جل وعلا: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، يعني: مبسوطتان بالعطاء والجود، فأثبت اليدين، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥].

وجاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ على مَنَابِرَ من نُورٍ عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»[1]؛ وذلك لأنَّ اليمين مشتقةٌ من اليمن، واليمن: هو البركة وكثرة الخير، أي: أنَّ يديه كلتاهما تسمى يمينًا، من اليمن الذي هو البركة، وقد أثبت النبي ﷺ اليدين، وأثبت الشمال لتقابل اليمين.

وفي آخر كتاب «التوحيد» جمع الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عددًا من الأحاديث التي في إثبات عظمة الله جل وعلا، مثلًا: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[الزمر: ٦٧]، قال رسول الله ﷺ: «يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَوَاتِ يوم الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بيده الْيُمْنَى، ثُمَّ يقول: أنا الْمَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يقول: أنا الْمَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»[2]، فذكر الشمال مقابل اليمين، يعني: لا بدَّ أن يكون هناك ما يقابل اليمين، ولكن كلتا يديه وصفت باليمن، والبركة والخير.

والمعتزلة وكذلك الأشاعرة ينكرون هذه الصفة، ويؤولونها بتأويلاتٍ بعيدة، ويحرفون الكلم عن مواضعه، وأكثرهم يفسرون اليد بالقدرة، في قوله

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥١٩) بنحو هذا اللفظ، ومسلم (٢٧٨٨) بلفظه، من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

جل وعلا: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾[آل عمران: ٢٦]، يعني: بقدرته، أو تحت تصرفه وتقديره، وقوله جل شأنه: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[الملك: ١]، أي: تحت تصرفه وتقديره، فلا يثبتون لله هذه الصفة، وذلك من إنكار هذه الصفات التي وردت الأدلة الواضحة بإثباتها، ولكن هكذا زيَّن لهم الشيطان أعمالهم.

١١- وَقُـلْ يَنْـزِلُ الْـجَبَّارُ فِي كُـلِّ لَيْلَـةٍ
بِـلَا كَيْـفَ جَـلَّ الْوَاحِـدُ الْـمُتَمَدَّحُ

الشرح:

يتضمن هذا البيت وما بعده حديث نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا، وهي مسألة قد كثر الخوض فيها، وأنكرها كثير من المعطلة المعتزلة والأشاعرة ونحوهم، الذين ينكرون علو الله تعالى، والذين ينكرون مجيئه ونزوله، والله سبحانه قد ذكر مجيئه في ثلاث آيات من القرآن:

الآية الأولى: قوله عز وجل: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة:٢١٠]، أثبت في هذه الآية أنه يجيء في ظلل من الملائكة، قال بعض السلف: «الملائكة يجيئون في ظلل من الغمام، والله تبارك وتعالى يجيء كما يشاء»[(١)].

ولا يجوز لنا أن نرد هذه الآية بأن نقول: يجيء أمره؛ كما قال ذلك المعطلة ونفاة هذه الصفات الفعلية.

الآية الثانية: قوله جل وعلا: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨]، صريح قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾، أنه لم يرد بذلك أن يأتي أمره، كما يقول ذلك

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٧٣) عن أبي العالية. وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٥٠، ٤/ ٥١١).

المعطلة والمؤولون حيث إنه أضاف الإتيان إلى الرب وعطف عليه قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾، وقد فسر البعض الآيات ها هنا بأنها طلوع الشمس من مغربها.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢]، صريحٌ حيث ذكر مجئ الرب وذلك في يوم القيامة.

وتُحمل الآيات كلها على أن المراد الإتيان يوم القيامة بعدما يبعث الله الخلق ويجيء وينزل لفصل الخطاب، والأدلة والأحاديث في السنة كثيرة، فلأجل ذلك يجب على المسلم أن يعتقد ذلك.

أما أحاديث النزول، فقد ذكر ابن كثير: إنه رواها نحو عشرة من الصحابة رضي الله عنهم، مما يدل على أنها مشتهرة، وأنها كالمتواتر، وقد ذكر طرقها وبعض ألفاظها كثير من العلماء، منهم: الشيخ حافظ الحكمي في كتابه «معارج القبول شرح سلم الوصول»، وقد ذكر كثيرًا من ألفاظها بلفظ «ينزل»، أو «يهبط»، أو «هبط»، أو نحو ذلك، مما يدل على أنه ينزل كما يشاء.

وأهل السنة يقولون: نثبت هذا النزول كما يشاء، ولا نتأوله، ولا نقول: يخلو منه العرش، أو لا يخلو، بل نقول: ينزل كما يشاء، فإنه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وإذا كان كذلك فإن على المسلمين أن يدينوا بذلك، ويتركوا الخوض في الكيفية، فكما أننا نقول: استوى على العرش بلا كيف، كذلك ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة بلا كيف، أي: كما يشاء.

وقد أُورد على شيخ الإسلام ابن تيمية سؤال عن هذا الحديث، وكان من جملة شبهة الذين أنكروه احتجاجهم بأن الليل يختلف، وأنه قد يكون عندنا ليل، وعند غيرنا نهار، وهذا من جملة ما لبس به ذلك السائل، وقال: يلزم على ذلك أن يكون النزول دائمًا ومستمرًا.

ولكن لعلنا نترك الكلام في هذا، ونقول: الله على كل شيء قدير، وهو قادر على أن ينزل عند هؤلاء وعند هؤلاء كما يشاء، فهو سبحانه لا يشغله شأن عن شأن.

ذُكر في هذه الأحاديث أنه يتودد إلى عباده، ينزل إلى السماء الدنيا.

يقول الناظم:

(وَقُلْ يَنْزِلُ الْـجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ   بِلَا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْـمُتَمَدِّحُ)

يعني: لا نكيف النزول.

قوله: (جلَّ الوَاحِدُ المُتمَدِّحُ)، أي: هو الواحد المتمدح الذي يمدح نفسه، جل وعلا عما يصفه به الواصفون الذين يتنقصونه.

١٢- إِلَى طَبَــقِ الْــدُّنْيَا يَمُــنُّ بِفَــضْلِهِ
فَتُفْــرَجُ أَبْــوَابُ الْــسَّمَاءِ وَتُفْــتَحُ

قوله: (إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا)، أي: النزول إلى السماء الدنيا كما يشاء.

قوله: (يَمُنُّ بِفَضْلِهِ)، أي: يمن بفضله على عباده، (فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وتُفْتَحُ) بحيث أنه ينزل منها الخير، وينزل منها الفرج. وقد ذكر في الأحاديث أنه سبحانه يتودد إلى عباده، وهو غني عنهم وهم فقراء إليه، وأنه يقول: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه، وفي لفظ «**من يسألني فأعطيه، من يدعوني فأستجيب له**» والمراد بطبق الدنيا والسماء الدنيا أي التي تلي الأرض، فهي الدنيا بالنسبة إلى الخلق والبشر، وقد شنع المعتزلة ونحوهم على من روى هذا الحديث أو استدل به، وادعو أن الرب تعالى منزه عن المجيء والإتيان، والنزول والصعود؛ لأن هذا بزعمهم من شأن هذه المحدثات والمركبات، وهذا مثل إنكارهم صفة العلو والفوقية التي تستلزم بزعمهم إثبات الجهة والحيز، وهم ينزهون الرب عن جميع ذلك، ويسمون من أثبت ذلك حشوية أو مجسمة أو مشبهة وفي مثل هذا يقول بعض العلماء:

فإن كان تجسيماً ثبوت صفاته　　　فإني إذاً عبد لربي مجسم

مع أن أهل السنة لا يتكلمون بالجسم ونحوه لا إثباتاً ولا نفياً، حيث يرد ذلك في الوحيين، وقد بالغ المعطلة في إنكار النزول والمجيء، وقالوا: إنه يلزم

أن يخلو منه العرش، أو أن بعض المخلوقات تكون فوقه، ونحو ذلك من التخرصات التي لا داعي إليها، فأهل السنة يتركون هذه التقديرات ويقولون ينزل ويجيء بلا كيف.

١٣- يَقُولُ أَلا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... ومُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَأَمْنَحُ

الشرح:

هكذا جاء في الحديث: أن الله يقول: «من يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ له، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ له»(١)، يتودد إلى عباده وهو عنهم غني.

قوله: (مُستغفرٌ)، المستغفر الذي يقول: رب اغفر لي، يسأل ربه.

قوله: (يَلقَ غَافِرًا)، أي: أنه سبحانه يغفر الذنوب جميعًا كما يشاء، فيغفر له إذا استغفر. فهذا يكون سببًا في اهتمام العباد في آخر الليل، في أي منطقة وفي أي بلد إذا كان آخر الليل اهتموا بالصلاة في ذلك الوقت، وسألوا ربهم المغفرة والتوبة، وأن يمنحهم خيرًا وأن يرزقهم رزقًا.

قوله: (ومُستمنحٌ خَيْرًا ورِزْقًا فيُمنحُ)، أي: يطلبوا الرزق، يا الله ارزقنا ، يا ربنا اغفر لنا، يا ربنا تب علينا، يا ربنا أعطنا، فهكذا يكون المسلم حريصًا على أن يدعو ربه في مثل هذه الأوقات الشريفة.

وحديث النزول رواه أبو هريرة رضي الله عنه، وكثيرون غيره، ولأجل ذلك يقول أبو الخطاب الكلوذاني في عقيدته(٢):

---

(١) جزء من حديث النزول الإلهي، الذي أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) لسماحة شيخنا عبدالله بن جبرين شرح كامل مطبوع على منظومة أبي الخطاب الكلوذاني ضمن سلسلة شروح الطريق.

قَالُوا النُّزُول قُلْتُ نَاقِلُه لَنَا　　قَوْمٌ هُمُوا نَقَلُوا شَرِيعَةَ أَحْمَدِ
قَالُوا فَكَيْفَ نُزُولُهُ فَأَجَبْتُهُمْ　　لَمْ يُنْقَلْ التَّكْيِيفُ لِي فِي مُسْنَدِ

أي: الـذين نقلـوا أحاديـث النـزول هـم الـذين نقلـوا أحاديـث الـصلاة، وأحاديث الصيام، وأحاديث الزكاة، وأحاديث البعث والنشور، وأحاديث العبادات، وأحاديث المحرمات، فلابد أننا نقبل أحاديثهم في هذا وهذا، فكما نقبلها في أحاديث الأحكام نقبلها أيضًا في أحاديث العبادات والعقائد.

١٤- رَوَى ذَاكَ قَـوْمٌ لا يُـرَدُّ حَـدِيْثُهُمْ
أَلا خَـابَ قَـوْمٌ كَـذَّبُوْهُمْ وَقُبِّحُـوا

الشرح:

أي: روى ذلك قومٌ من الصحابة رضي الله عنهم، وتلقى ذلك التابعون وتابعوهم، وتلقى ذلك علماء الأمة بصدر رحب، تلقوا ذلك بما وهبهم الله، وقالوا: نقبل أحاديث النبي ﷺ ولا نردها، وما ذاك إلا أنهم قد رووها كما رووا غيرها من أحاديث الأحكام.

وقد توسع شيخ الإسلام رحمه الله في شرح حديث النزول في مجلد أو جزء كبير طُبع مفردًا وخُدم وحُقق، وكذلك أيضًا طُبع شرح الحديث في المجموع في المجلد الخامس الذي يتعلق بالحديث فيُرجع إليه هناك، ويظهر من كلام شيخ الإسلام أن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن، وقد قال بعضهم -وهو قول أيضًا لشيخ الإسلام-: إن النزول يختص بالبلاد العربية، أو بالجزيرة التي بُعث النبي ﷺ منها، وعلى غيرهم أن يتحروا هذه الأوقات، وأن يدعوا الله تعالى فيها وإن صادفت عندهم نهارًا أو أول ليل أو ما أشبه ذلك.

ولكن إذا نظرنا إلى لفظ الأحاديث: «يَنْزِلُ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ»[1]، فإن ذلك على ظاهره، وأنه واضح في أنه سبحانه ينزل كما يشاء، وأنه ينزل في هذا الوقت؛ ولأجل ذلك

(١) تقدم تخريجه (ص٦٠).

يستحب العلماء أن يقوم العبد في الثلث الآخر من الليل، وأن يتهجد ويقرأ ويصلي ما تيسر له، وقالوا: إن ذلك أفضل من القراءة والصلاة قبل النوم؛ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل:٦]، وقالوا: إن الناشئة هو: الذي يقوم بعد النوم، وقد كان النبي ﷺ يبدأ بالنوم بعد صلاة العشاء، ثم يقوم من نصف الليل، أو في ثلث الليل، ويكثر من القراءة، ويكثر من التهجد والصلاة والركوع والسجود وذكر الله تعالى، ويفتتح تهجده بقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...**»[1]، إلى آخر الدعاء. فعلينا أن نهتم بذلك ونقتدي بنبينا ﷺ؛ لنكون بإذن الله من المتبعين له في تحري الدعاء والصلاة آخر الليل، وأن نمر هذه الأحاديث -التي هي أحاديث النزول- دون أن ننكر شيئًا منها.

وقد ورد أيضًا أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا عشية عرفة، قال ﷺ: «**مَا مِنْ يوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يوْمِ عَرَفَةَ، يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ، جَاءُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ...**»[2]. ففي هذا الحديث أنه ينزل إلى الدنيا كما يشاء، فنقر

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أبو يعلى (٤/ ٦٩)، وابن حبان (٩/ ١٦٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٦٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٥٣): «رواه أبو يعلى وفيه محمد بن مروان العقلي، وثقه ابن معين وابن حبان، وفيه بعض كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح».

بذلك ولا ننكره.

والذين لم يرزقهم الله تعالى علمًا نافعًا تجدهم ينكرون مثل هذه الأحاديث ويستثقلونها، بحيث إنهم إذا سمعوا الحديث يُقرأ هربوا من سماعه، وخُيل إليهم أن هذا شيء مستقبح، وأنه بعيد عن الصواب، وأن النزول لا يكون -كما يقولون- إلا للمركبات ونحوها، فأنكروا ذلك أيضًا في الآيات القرآنية، يقول بعضهم: (إن مجيء الله تعالى مستحيل؛ لأن المجيء والنزول من شأن المحدثات والمركبات). هكذا قالوا.

نقول لهم: يلزمكم أن لا تقروا بما جاءت به السنة، ولا تقبلوا شيئًا منها، فتكونون بذلك من الخاسرين، أقروا بهذه السنة، فأقروا بهذه الأحاديث، وأقروا بما أخبر به النبي ﷺ، وقولوا: سمعنا وأطعنا، سمعًا وطاعةً للنبي محمد ﷺ، ولا نرد شيئًا مما جاء به، فإذا فعلوا ذلك فقد قبلوا كتاب الله تعالى.

١٥- وَقُـلْ: إِنَّ خَـيْرَ النَّـاسِ بَعْـدَ مُحَمَّـدٍ
وَزِيْـرَاهُ قِـدَمًا ثُـمَّ عُـثْمَانُ الارْجَـحُ

الشرح:

لَـمَّا تكلم الرافضة في الصحابة رضوان الله عليهم -وبالأخص: الخلفاء الثلاثة- جعل العلماء خلافتهم من أمر العقيدة، وإلَّاَ فإنَّها أمرٌ ظاهر ليس بخفي، ولكن هؤلاء الرافضة الذين كفَّروهم وأبطلوا خلافتهم أنكروا شيئًا ظاهرًا عيانًا، ولكن لا شكَّ أنَّهم انخدعوا بذلك، فغلوا في عليٍّ ﵁، وتنقصوا بقية الصحابة، وبالأخص الخلفاء ﵃.

فلما كان في إمارة الحجاج على العراق التي استمرت أكثر من عشرين سنة، كان الحجاج يلزم الخطباء في العراق أن يلعنوا عليًا ﵁ على المنابر في الخطب، وكان أهل العراق يحبون عليًا ﵁ لحسن سيرته، فكان ذلك يسوؤهم ويحزنهم، ويشق عليهم أن يسمعوا هذا السب وهذا اللعن المقذع المشين، فكانوا يجتمعون بعد كلِّ خطبة، ويتذاكرون فضائل علي ﵁، ودخل معهم من يعتقد أنَّهم يتمسكون بخلافة علي ﵁، وأنَّهم يترضون عنه، فصاروا يكذبون، ويخترعون أحاديث في فضائله لا أصل لها، وكثرت الأحاديث التي افتروها وكذبوها. ولما سمعها بعض تلاميذهم استغربوا، كيف يكون لعليٍّ ﵁ هذه الفضائل ومع ذلك لا تكون له الخلافة أولًا، بل يكون هو الخليفة الرابع؟ لو كانت هذه كلها ثابتة لما تخلَّف عن أن يكون هو الخليفة الأول، فلما أخذ هؤلاء الأتباع يلقون عليهم هذا الإشكال قال أولئك

الرؤساء والقادة لا بدَّ أنَّنا نسب هؤلاء الخلفاء، وننكر خلافتهم، حتى نرضي أتباعنا، ونقول: إنَّهم مغتصبون، بل إنَّ الصحابة الذين بايعوهم خائنون، ونقول: إنَّ الوصية كانت لعلي رضي الله عنه، وأنَّ الذين بايعوا أبابكر رضي الله عنه قد خانوا الوصية؛ فلأجل ذلك أخذوا يقدحون في الخليفتين -أبي بكر وعمر- رضي الله عنهما ويتكلمون فيهما بكلامٍ سيِّءٍ، ثمَّ ألحقوا بهم جميع الصحابة رضي الله عنهم إلَّا قليلًا؛ لأنَّهم يرون أنهم خانوا الوصية، ولأنَّهم لم يوفوا بما أوصاهم به النبي ﷺ، ويسمون عليًا رضي الله عنه الوصي، فابتدعوا بدعًا، واخترعوا أكاذيب في فضائله، ولا يزالون إلى الآن.

ففي شريطٍ عرضه عليَّ بعض الإخوة لأحد الدعاة الغلاة من الشيعة، ذكر كلامًا وأفعالًا عن علي رضي الله عنه، وأخذ يمدح سيفه ذو الفقار، ويقول: إنَّ هذا السيف هو الذي منحه إياه النبي ﷺ، وأنَّ هذا السيف سيفٌ بتَّار، لا يمكن أن يُهزم أحدٌ حمله، ويقول: إنَّ السيف انفلت مرة عن علي رضي الله عنه، وأخذ ذلك السيف يضرب في الناس دون أن يمسكه أحد! سبحانه الله! سيف جماد أخذ يصرع هذا ويصرع هذا في قتال الخوارج، وفي قتال الجمل وصفين ونحو ذلك وهذه كلها أضاحيك وأعاجيب.

فمثل هذه القصص هي التي حدث بسببها هذا الرفض، وأول غلوهم بسبب ما حصل من يهودي يُقال له: عبد الله بن سبأ أظهر الإسلام نفاقًا وكان باطنه الكفر، وأراد بذلك أن يشكّك في الإسلام، ويدعو إلى أسباب الانحلال، فهو من الذين دعوا الثوار إلى قتل عثمان رضي الله عنه، حيث جمَّع الجموع،

وأثار من أثار حتّى اجتمعت عصابات خرجت من مصر والعراق، وحاصروا عثمان رضي الله عنه، حتّى قُتل شهيدًا رضي الله عنه.

ولما استشهد عثمان رضي الله عنه وتمّت البيعة لعليّ رضي الله عنه ورأى عبدالله بن سبأ أن عليًا رضي الله عنه محبوب عند أهل العراق، حيث استقرّ عندهم، أراد أيضًا أن يبطل إسلامهم، وأن يوقعهم في الكفر، فدعاهم إلى أن يغلوا في علي رضي الله عنه، فزين لهم أن يجعلونه ربًّا وإلهًا، وانخدع به خلق كثير، واعتقدوا هذا الاعتقاد الفاسد، فخرج عليهم عليّ رضي الله عنه مرّة وهم أعداد هائلة، فخرّوا له سجّدًا، فقال لهم: ما هذا؟ قالوا: أنت إلهنا، فتعجّب من ذلك، ودعا أكابرهم ليتوبوا، ولكنهم أصرّوا على شركهم ولم يتوبوا، ولما أصروا على الكفر والشرك بالله أمر بحفر أخاديد، وأضرم فيها النيران، فكان يقول لأحدهم: تب إلى الله، فإذا أصر على الكفر ولم يتب، أمر غلامه قنبرًا بإلقائه في تلك النار. وهو ينشد ويقول:

لَـمَّا رَأَيْتُ الأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا   أَجَّجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبَرًا[1]

وما زادهم هذا الإحراقُ إلا تمسكًا بما هم عليه، وقالوا: الآن عرفنا أنّك الرّب؛ لأنّه لا يعذّب بالنّار إلّا ربُّ النّار، فقتل من قتل منهم، وتمسّك الباقون بما كانوا عليه.

وقد أنكر ابن عباس رضي الله عنهما إحراقهم بالنار، وقال: لو كُنتُ أَنا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ؛ لِأَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ**»، وَلَقَتَلْتُهُمْ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ

---

(١) أخرج القصة الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (ص١٨٧).

بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[١].

هؤلاء هم غُلاة الرافضة أتباع ابن سبأ، الذين جعلوا عليًا رضي الله عنه إلهًا، وكفَّروا أكثر الصحابة وأبطلوا خلافتهم، ولا يزال كثيرٌ منهم على هذه العقيدة الخبيثة الباطلة.

ويحفظ من شعرهم:

أشهد أن لا إله إلا حيدره الأنزع البطين
ولا حجاب عليه إلا محمد الصادق الأمين
ولا طريق إليه إلا سلمان ذو القوّة المتين[٢]

لما كان سلمانُ رضي الله عنه من الفرس، جعلوه هو الحاجب على الله، وحيدرة هو اسم عليّ رضي الله عنه؛ لأنه كان يقول في خيبر[٣]:

أنا الذي سمّتني أمّي حَيْدَرهْ[٤]
كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ المنْظَرَهْ
أُوَفِّيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرهْ[٥]

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧).

(٢) ذكره شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية (٢/ ٥١٢).

(٣) هذا الرجز أخرجه مسلم (١٨٠٧) في قصة فتح خيبر.

(4) الحيدره: الأسد، سُمي به لغلظ رقبته. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٥٤).

(٥) أي: أقتلهم قتلًا واسعًا ذريعًا، والسندرة: مكيال واسع، وقيل: هي شجرة يُعمل منها النبل والعصي. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٠٨).

فصار هذا الاسم علمًا عليه، فهم يقولون: لا إله إلا عليٌّ، لا إله إلا حيدرة. وهذا الاعتقاد مشهورٌ فيهم، وهؤلاء هم بقيّة ورثة ابن سبأ، وهم السبئيون، ويُقال لهم: الغلاة؛ لأنهم لما قُتل عليّ رضي الله عنه اعتقدوا أنّه لم يُقتل، بل قالوا: إنّه رفع في السحاب، واعتقدوا أنّه سوف يرجع؛ فلذلك يقال لأحدهم: فلان يؤمن بالرجعة. ولا يزال كثير منهم يؤمن بالرجعة إلى اليوم، وهذه العقيدة لا تزال موجودة إلى اليوم، يؤمن بها الكثير في العراق، وفي إيران، وكثير من البلاد التي يكثر فيها الرافضة.

وهناك أيضًا طائفة منهم غلوا في عليّ رضي الله عنه، وادّعوا أنّ الرسالة له، وأنّ جبريل عليه السلام كان مأمورًا أن ينزل بالرسالة على عليّ رضي الله عنه، ولكنّه خان ونزل على محمّد صلى الله عليه وسلم، فعليٌّ رضي الله عنه عندهم أحقّ بالرسالة من محمد صلى الله عليه وسلم؛ ولذلك يقول أحدهم: خان الأمين وصدّها عن حيدره.

هؤلاء الباطنية، وهم موجودون أيضًا، ويعتقد هذه العقيدة كثير من الرافضة في العراق وإيران بل في المملكة أيضًا، فقد ذكر لنا بعض الذين نقلوا عنهم من رافضة المدينة، أنّهم قبل التسليم من الصلاة يضربون بأيديهم على ركبهم ويكرّرون: خان الأمين خان الأمين. ثم يسلّمون.

وأمّا أكثريّتهم، فيُقال لهم: الإمامية، يسمّون أنفسهم الإماميّة، وهم في الحقيقة الرافضة. هذا هو الحقّ، وعقيدتهم: أنّ عليًّا رضي الله عنه هو الإمام، وأنّ الأئمّة قبله مغتصبون، وأنّ أبا بكر رضي الله عنه مغتصب للخلافة، وكذا عمر وعثمان رضي الله عنهما، وكذا من تولّى الخلافة غير عليّ رضي الله عنه وذريّته، يُعتبرون عندهم مغتصبين لما ليس لهم.

هكـذا كانـت أقـوالهم، وهكـذا رسـخت هـذه العقيـدة في نفوسـهم، وتوارثوها، وأخذوا يتناقلون هذه الأكاذيب في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني.

فلأجل ذلك يذكر العلماء أمر الخلفاء وخلافتهم في العقيدة، ومنهم: هذا الناظم رحمه الله.

قوله: (**وَزِيرَاهُ قِدَمًا**)، وزيراه: أبو بكرٍ وعمر رضي الله عنهما، لَـمَّا دُفن النبي ﷺ في حجرته أوصى أبو بكر رضي الله عنه إذا مات أن يدفنوه إلى جنب النبي ﷺ، فدفن إلى جنبه، وبقِي موضع، فأرادت عائشة رضي الله عنها أن يكون قبرها في هذا الموضع إلى جنب قبر أبيها وزوجها، ولَـمَّا طُعن عمر رضي الله عنه طلب من عائشة رضي الله عنها أن يُدفن معها، فقالت: «كنت أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، فَلَأُوثِرَنَّهُ الْيَوْمَ على نَفْسِي»[1]، فدفن إلى جنبها. يقول ابن عباس رضي الله عنهما: وُضِعَ عُمَرُ على سَرِيرِهِ، فتَكَنَّفَهُ الناس يَدْعُونَ وَيُصَلُّونَ قبل أَنْ يُرْفَعَ وأنا فِيهِمْ، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَجُلٌ آخِذٌ مَنْكِبِي، فإذا عَلِيُّ بن أبي طَالِبٍ فَتَرَحَّمَ على عُمَرَ وقال: ما خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ ألقى الله بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وأيم الله إن كنت لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ الله مع صَاحِبَيْكَ، وَحَسِبْتُ إني كنت كَثِيرًا أَسْمَعُ النبي ﷺ يقول: «**ذَهَبْتُ أنا وأبو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَدَخَلْتُ أنا وأبو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَخَرَجْتُ أنا وأبو بَكْرٍ وَعُمَرُ**»[2]. دائمًا يذكر الرسول ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فهما وزيراه في الحياة، قلَّ أن

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨٥)، ومسلم (٢٣٨٩).

يتخلفا عنه، وقلَّ أن يستغني عن إشارتهما، ولم يتخلفا في غزوة من الغزوات، ولا في حجةٍ ولا في عمرة، بل دائمًا وهما معه، فأصبحا وزيرين له.

يَذْكر بعض الإخوان أنَّه كان يدرِّس في إحدى المدارس المتوسطة، وفيها رافضة، فأتى على حديث خيبر، لما أنَّ النبي ﷺ أرسل عليًا رضي الله عنه لقتالهم، ووصفه بأنَّه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فقال بعض أولاد أولئك الرافضة: لماذا لم يرسل أبا بكر ولا عمر؟ يقول المدرس: فقلت: إنَّني سأجيبك، وهذا الجواب أمانةٌ في ذمتك على أن تصدع به، وأن تقتنع به، إنَّ أبا بكر وعمر وزيران للنبي ﷺ، لا يستغني عن وزارتهما، دائمًا وهما معه، خرجا معه في غزوة بدر، وكانا إلى جنبيه في غزوة أحد، وكذلك -أيضًا- بقية الغزاوت، فكانا جليسين له ووزيرين له، لا يستغني عنهما، فلأجل ذلك أرسل عليًا رضي الله عنه.

فالحاصل: أنَّهما كالوزيرين له، وقد جاءت أحاديث كثيرة تبين فضلهما، فمن ذلك: الشهادة لهما بالجنة في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَائِطًا ، وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الْحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**»، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**»، فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَسَكَتَ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُهُ**، فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ»[1]. كان أبو بكر رضي الله عنه قد

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٥) ، ومسلم (٢٤٠٣).

جلس إلى جانب النبي ﷺ عن يمينه؛ لأنَّه جلس على شفير البئر، ودلى رجليه في ركح البئر، وجاء عمر رضي الله عنه وجلس إلى يساره، فتوسط النبي ﷺ بينهما، يقول أبو موسى رضي الله عنه: فأولت ذلك قبورهما، وجاء بعده عثمان رضي الله عنه وإذا ركح البئر قد امتلأ فجلس في الجانب الثاني فهذا أيضاً من البشارة لهما بالجنة.

وثبت أنَّه ﷺ قال: «**أبو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[1]، يعني: الرجال المتوسطين.

كذلك -أيضًا- جاءت الإشارة إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فمن ذلك: خطب النبي ﷺ في آخر حياته، قبل مرضه بقليل، فقال: «**إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ الله بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ**»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَقَالَ: «فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا»، فعجب النّاس، أنّ النبيّ ﷺ يخبر عن هذا العبد الذي خيّره الله، وأنّ أبا بكر رضي الله عنه يبكي ويقول هذه المقولة! فلمّا قال ذلك قال النبيّ ﷺ: «**إِنَّ أَمَنَّ الناس عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أبو بَكْرٍ وَلَوْ كنت مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاتخذت أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً وَلَكِنْ إخوة الْإِسْلَامِ لَا تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إلا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ**»[2]، كان لأبي بكر رضي الله عنه خوخة، يعني: باب يدخل معه، ملاصق لبيته، فأمر بسد الأبواب والنوافذ إلَّا خوخة أبي بكر رضي الله عنه،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٦٤) وحسنه، وابن ماجه (٩٥)، وأحمد (١/ ٨٠)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فكان ذلك إشارة إلى أنَّه سوف يتولى؛ لأنَّه إذا تولى فلا بدَّ أنَّه يحتاج إلى تكرار الدخول.

وثبت -أيضًا- أنَّ امرأةً جاءت للنبي ﷺ تسأله عن شيء، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إليه، قالت: أَرَأَيْتَ إن جِئْتُ ولم أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تَقُولُ المَوْتَ، قال ﷺ: «إن لم تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ»[1]، فكان ذلك -أيضًا- إشارة إلى أنَّه يكون هو الخليفة بعده.

ولما اشتدَّ به المرض أمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس، وقال: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ»! فقالت عائشة رضي الله عنها: «إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ»، قَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، فَعَادَتْ، فَقَالَ: «مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ»[2]. فأكّد أنّ أبا بكر رضي الله عنه هو الذي يصلح أنْ يكونَ إمامًا، ، فصلى بهم أبو بكرٍ رضي الله عنه خمسة أيام أو ثمانية أيام.

ولما توفي النبي ﷺ اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وأرادوا أن يبايعوا واحدًا منهم أميرًا، وهو سعد بن عُبادة رضي الله عنه، فلمّا سمع بهم عمر وأبو بكر وأبو عبيدة رضي الله عنهم ذهبوا إليهم وخاطبهم أبو بكر رضي الله عنه لما قالوا: «مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ»، بقوله: «نَحْنُ الأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ»، فتمّت البيعة في السقيفة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٩)، ومسلم (٢٣٨٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨)، ومسلم (٤٢٠) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

نفسها. فبايعوا أبا بكر رضي الله عنه واجتمعوا عليه[١].

وفي عهده ارتدت الأعراب الذين حول المدينة، حتّى قال قائلهم[٢]:

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ مُذْ كَانَ بَيْنَنَا ... فَيَا لِعِبَادِ اللَّهِ مَا لِأَبِي بَكْرِ

يعني: ما لنا ولطاعته، إنّما طاعتنا للرسول ﷺ وهو موجود بيننا.

وأغار بعض الأعراب على المدينة وانكسروا، وأرسل أبو بكر رضي الله عنه الجيش الذي كان جهّزه النبي ﷺ، ورجعوا سالمين غانمين، وأرسل -أيضًا- لقتال المرتدين، فما مضت سنة أو أقل من سنة حتى صفت الجزيرة، ولم يبقَ فيها دينٌ إلّا الإسلام، وكان قد اجتمع مع مسيلمة نحو مائة وعشرين ألفًا، صدَّقوه، وادعوا أنَّه رسول، فأرسل إليهم أبو بكر رضي الله عنه جيشًا مكونًا من سبعة آلاف أو نحوهم.

وكانت فتنة شديدة على الصحابة -رضوان الله عليهم- فصبروا وصمدوا، حتى قُتل منهم خمسمائة من القراء، ثمَّ تسلَّقوا الحصن على مسيلمة وقتلوه، ولـمَّا قُتل تفرَّق من كان معه، فصفت هذه الجزيرة كلها بحمد الله.

ثمَّ إنَّه وجَّه الجيوش إلى الشام والعراق، واستمروا في الجهاد ونشر الإسلام، حتى مات أبو بكر رضي الله عنه وهم في الوقعة التي تسمى اليرموك.

وكان قد أوصى قبل وفاته بخلافة عمر رضي الله عنه، وقال: إنِّي أراك أهلًا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (٩/ ١٢٥) ونسبه إلى حارثة بن سراقة الكندي.

للخلافـة، وإنِّي أوصـيك أن تكـون الخليفـة مـن بعـدي، وأمـر مـن حولـه أن يبايعوه، فتمت البيعة لأبي بكر رضي الله عنه، ثمَّ تمت بعده لعمر رضي الله عنه، ثـم تمـت بعـده لعثمان رضي الله عنه، ولما قتل عثمان لم يكن أحدٌ أحقَّ بها من عليٍّ رضي الله عنه.

هؤلاء هـم أكـابر الـصحابة رضي الله عنهم، قـد اشـتهرت الأحـاديث في فـضائلهم رضـوان الله علـيهم، وقـد جعـل البخـاري رحمه الله في صـحيحه كتابًـا لفـضائل الـصحابة رضي الله عنهم، بـدأها بفـضائل أبي بكـر رضي الله عنه، ثـم بفـضائل عمـر رضي الله عنه، ثـم بفضائل عثمان رضي الله عنه، ثـم بفـضائل عـلي رضي الله عنه، ثـم ببقيـة مـن عنـده فـضائل مـن الصحابة رضي الله عنهم.

كذلك مسلم جعـل في صـحيحه كتابًـا لفـضائل الـصحابة رضي الله تعـالى عنهم، بدأ بأبي بكر رضي الله عنه، ثم عمـر رضي الله عنه، ثـم عـثمان رضي الله عنه، ثـم عـلي رضي الله عنه، ثـم من بعدهم.

وكـذلك الترمـذي في سـننه، جعـل كتـاب المناقـب، بـدأه بمناقـب أبي بكـر رضي الله عنه، ثم عمر رضي الله عنه، ثم عثمان رضي الله عنه، ثم علي رضي الله عنه، وأورد فيها ما ثبت عنده.

ثمَّ -أيضًا- بقية العلماء ألفوا كتباً في فـضائل الـصحابة رضي الله عنهم، كالـدارمي في أول مقدمة سننه، وابن ماجه أيضاً في مقدمة سننه.

وألـف الإمـام أحمـد كتابًـا مطبوعًـا في مجلـدين «فـضائل الـصحابة»، ذكـر فضائل الخلفاء رضي الله عنهم واحدًا بعد واحد، ذكرها بأسانيدها، وذكـر -أيـضًا- مـا يدل على ذلك من كلام العلـماء، فلـما جـاءت هـذه الفـضائل فيهم بالأحـاديـث الصحيحة مروية بالأسانيد، عرف بذلك أنَّهم أهل فضائل.

وأهل السنة ماجحدوا عليًا رضي الله عنه، بل ذكروا فضائله، وذكروا خلافته، واعترفوا بأنَّه خليفة من الخلفاء الراشدين، الذين أرشد إليهم النبي ﷺ بقوله: **«عَلَيْكُمْ بسنتي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عليها بِالنَّوَاجِذِ»**(١)، فأشار إلى خلافتهم.

كذلك -أيضًا- في حديث عن سفينة رضي الله عنه مولى النبي ﷺ قال: **«خِلافَةُ النبوَّةِ ثلاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي الله مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ»**(٢)، فكانت آخر الخلافة خلافة الحسن رضي الله عنه، ولكنَّه ما أقام إلَّا نحو نصف سنة، ثم تنازل لمعاوية رضي الله عنه، وخلافة معاوية رضي الله عنه ومن بعده كأنَّها ملك، ومع ذلك لم يتوقف الجهاد في خلافة معاوية رضي الله عنه، بل كان يرسل رسلًا وجيوشًا يقاتلون في جهة الشمال والغرب، واستمر الجهاد إلى آخر القرن الأول، وفي ولاية الحجاج فتح الهند والسند، بقيادة ابن أخيه محمد بن القاسم، ثمَّ بقيادة قتيبة بن مسلم فتحت كثير من تلك البلاد، كذلك -أيضًا- فتحت البلاد الغربية، بقيادة بعض القواد الذين تمكنوا وفتح الله تعالى عليهم، ومنهم: موسى بن نصير، وغيره.

وبكلِّ حالٍ: الولاية التي اسمها خلافة هي خلافة الخلفاء الأربعة؛ فلذلك نعترف بأنَّهم خير الناس، ولذلك قال الناظم:

(وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيْرَاهُ قِدَمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ).

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢١).

(٢) أخرجه أبوداود (٤٦٤٦، ٤٦٤٧)، والترمذي (٢٢٢٦) وحسنه، وأحمد (٥/ ٢٢٠، ٢٢١).

ومن فضائلهم: أنَّ أبا بكر ﵁ والد عائشة ﵂ زوج النبي ﷺ، وعمر ﵁ والد حفصة ﵂ إحدى أمهات المؤمنين، وعثمان ﵁ يقال له: ذو النورين؛ لأنه زوج اثنتين من بنات النبي ﷺ، كان تزوج قبل نزول الوحي رقيَّة إحدى بنات النبي ﷺ ثم ماتت فتزوج أم كلثوم فكان يقال له ذو النورين لأنه تزوج بنتي النبي ﷺ.

وعليٌّ ﵁ تزوج فاطمة ﵂ بنت النبي ﷺ، فكلٌّ منهم له فضل، أبو بكر ﵁ يقول: أنا أبو زوجة النبي ﷺ، وعمر ﵁ يقول: أنا أبو زوجة النبي ﷺ، وعثمان ﵁ يقول: أنا زوج بنتين من بنات النبي ﷺ، وعلي ﵁ يقول: أنا زوج واحدة من بنات النبي ﷺ.

١٦- وَرَابِعُهُـمْ خَـيْرُ الْبَرِيَّـةِ بَعْـدَهُمْ
عَلِيٌّ حَلِيْـفُ الْـخَيْرِ بِالْـخَيْرِ مُنْجِحُ

الشرح:

هذا هو القول الذي اختاره الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ، فعندنا ترتيبهم في الخلافة: أنَّ الخليفة الأول أبو بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، خلافتهم خلافة نبوة، ومن طعن في خلافة أحدٍ من هؤلاء فهو أضلُّ من حمار أهله؛ كما قال ذلك شيخ الإسلام(١).

وأما ترتيبهم في الفضل: فالاتفاق أنَّ أفضلهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثمَّ يليه في الفضل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأما عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ففيهما خلاف، فبعض العلماء يقدِّم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعض العلماء يقدم عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعضهم يجعلهم في درجةٍ واحدةٍ في الفضل، أي: لا فضل لهذا على هذا؛ وذلك لأنَّ كلًا منهما صهر النبي ﷺ، ولكلٍّ منهم فضائل، وللصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -أيضًا- فضائل لا تجحد.

ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -أيضًا- له فضل؛ وذلك لأنَّه حسُنَ إسلامه، ولما أسلم اشتغل كاتبًا مع النبي ﷺ يكتب الوحي، ثمَّ هو -أيضًا- أخو إحدى أمهات المؤمنين، أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخته، وهي زوج النبي ﷺ، ولكنه لا يقارب الخلفاء في الفضل.

قوله: (خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ)، أي: خير الخلق بعد الثلاثة، (عَلِيٌّ حَلِيْـفُ الْـخَيْرِ بِالْـخَيْرِ مُنْجِحُ)، يعني: أنَّ الخير محالفه ومقارنه، وأنه ناجح فيه.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٣، ٤/ ٤٧٩، ٣٥/ ١٩).

١٧- وإنَّهُـــمُ لَلْــرَّهْطُ لاَ رَيْــبَ فِــيْهِمُ
عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ بِالْنُّورِ تَسْرَحُ
١٨- سَعِيْدٌ وَسَعْدٌ وَابْنِ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ
وَعَامِرٌ فِهْرٍ وَالْزُّبَيْرُ الْمُمَدَّحُ

الشرح:

يعني: الرهط، الذين هم الستة الباقون من العشرة المبشرون بالجنة، والرهطُ: اسم لجمعٍ من الرجال، لا واحد له من لفظه.

قوله: (عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ)، يعني: في الجنة يكونون على نجب الفردوس، أي: في الجنة بالنور تسرح، ثمَّ نظمه في بيتٍ واحد وهو:

سَعِيْدٌ وَسَعْدٌ وَابْنِ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ   وَعَامِرٌ فِهْرٍ وَالْزُّبَيْرُ الْمُمَدَّحُ

هؤلاء هم الستة الباقون من العشرة المبشرون بالجنة، في حديث سَعِيدِ بن زيدٍ رضي الله عنه قال: أَشْهَدُ على رسول الله ﷺ أني سَمِعْتُهُ وهو يقول: «عَشْرَةٌ في الجَنَّةِ: النبي في الجَنَّةِ، وأبو بَكْرٍ في الجَنَّةِ، وعُمَرُ في الجَنَّةِ، وعُثْمَانُ في الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ في الجَنَّةِ، وطَلْحَةُ في الجَنَّةِ، و الزُّبَيْرُ بن العَوَّامِ في الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بن مَالِكٍ في الجَنَّةِ، وَعَبْدُالرحمن بن عَوْفٍ في الجَنَّةِ»، قال سعيد بن زيد رضي الله عنه: وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ، فَقَالُوا من هو؟ فَسَكَتَ، فَقَالُوا: من هو؟ فقال: هو سَعِيدُ بن زَيْدٍ[1].

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٨)، وابن ماجه (١٣٣)، وأحمد (١/ ١٨٧).

هؤلاء الستة:

سعيد: هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، من المتقدمين، ومن المهاجرين، وأبوه زيد كان ممّن وحّد الله تعالى في الجاهليّة، وترك عبادة الأصنام، وترك الأكل مما أُهلّ لغير الله به[1] كما في حديث ابن عُمَرَ رضي الله عنهما: «**أَنَّ النبي ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بن عَمْرِو بن نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحٍ قبل أَنْ يَنْزِلَ على النبي ﷺ الْوَحْيُ، فَقُدِّمَتْ إلى النبي ﷺ سُفْرَةٌ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ منها، ثُمَّ قال زَيْدٌ: إني لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ على أَنْصَابِكُمْ، ولا آكُلُ إلا ما ذُكِرَ اسْمُ الله عليه. وَأَنَّ زَيْدَ بن عَمْرٍو كان يَعِيبُ على قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا الله، وَأَنْزَلَ لها من السَّمَاءِ الْمَاءَ، وَأَنْبَتَ لها من الأرض، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا على غَيْرِ اسْمِ اللهِ إِنْكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا له**». وشهد له النبيّ ﷺ بأنّه يبعث يوم القيامة أمّة وحده[2]، وهو ابن عم عمر بن الخطاب بن نفيل.

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: هو سعد بن مالك، وهو من بني زهرة، وهم أخوال النبي ﷺ.

ابن عوف رضي الله عنه: هو عبد الرحمن بن عوف، من بني زُهرة، الذين هم أخوال النبي ﷺ، وقد أسلم قديمًا بدعوة أبي بكر رضي الله عنه، ولـمّا أسلم سمّى نفسه عبدالرحمن، وكان لا يجيب إن ناداه أحدٌ من قريش بعبد عمرو، ويجيب إذا نودي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٢٦).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٥٤) من حديث زيد بن حارثة رضي الله عنه.

بعبد الرحمن. ومن فضله أنّه من الذين كانوا على جبل أحد لما تحرّك فقال النبيّ ﷺ: «اهْدَأْ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ»(١).

ولما هاجر عبد الرحمن آخى النبيّ ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه وكان سعد رضي الله عنه ذا غنى، ، فقال لعبدالرحمن رضي الله عنه: «أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ»، قَالَ عبد الرحمن رضي الله عنه: «بَارَكَ الله لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ»(٢)، فصار يتّجر، ثمّ إنّه أصبح ذا مال، وكان من أثرياء الصحابة رضي الله عنهم.

قدمت عير له إلى المدينة، وكان النّاس في حاجة، وجاء إليه التجّار ورغّبوه، وأعطوه ربحًا وفيرًا، ولكنّه قال: قد أعطيت فيها في المئة ألفًا، فتصدّق بها، وقال: إنّ الله قد أخبر بأنّه يضاعفها أضعافًا كثيرة، مشيرًا إلى قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[الحديد:١١]. فتصدّق بها كلّها، وكان رضي الله عنه إذا أُتِي بالطعام الشهيّ، بكى حتّى يتركه، إذا تذكّر حالة الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا في جهدٍ جهيد. وبكلّ حال فهو من أجلاّء الصحابة رضي الله عنهم، مات سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، في السنة التي مات فيها العباس رضي الله عنه.

أما طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: فهو أيضًا من العشرة، ومن المهاجرين، وهو من بني تيم بن مرّة الذين منهم أبو بكر رضي الله عنه. وهو من الذين جاهدوا في الله حقّ جهاده، وكان ملازمًا للنبيّ ﷺ، وفي يوم أحد عندما أراد النبيّ ﷺ أن ينظر إلى

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٤٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

المشركين في القتال قال له: «يا نَبِيَّ الله بِأَبِي أنت وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ يصبك سَهْمٌ من سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ»[1]، وكان يقيه بيده، ويتلقى السهام التي يُرمى بها النبيّ ﷺ، حتّى شَلَّت يده رضي الله عنه، وذلك بلا شكّ من شدّة حبّه للنبيّ ﷺ.

والزّبير بن العوام رضي الله عنه: هو من بني أسد بن عبد العزى بن قصيّ بن كلاب، وهو ابن عمّ خديجة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، وهو من المهاجرين الأوّلين، وله قرابة بالنبيِّ ﷺ فهو ابن عمّته صفيّة بنت عبد المطّلب رضي الله عنها. وقد كان من المجاهدين الذين بذلوا أنفسهم في الجهاد في سبيل الله، وقد قال فيه النبي ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيِّي الزُّبَيْرُ»[2].

وقُتِل هو وطلحة رضي الله عنهما في سنة ست وثلاثين من الهجرة، في وقعة الجمل، لما خرجوا مع أهل الجمل، وحصلت الوقعة مع عليّ رضي الله عنه، وقد تبرّأ عليّ رضي الله عنه ممّن قتلهم، وبكلّ حال فهم مجتهدون يعذرون، وقد أرادوا أن يتتبّعوا قتلة عثمان رضي الله عنه.

أمّا أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجرّاح رضي الله عنه، فهو أيضًا من المهاجرين، وقد أسلم قديمًا، خرج أبوه مع أهل بدر من المشركين، ولما رآه أبوه مع المسلمين حاول أن يقتل ابنه؛ لأنّه مسلم، ولما لم يجد أبو عبيدة رضي الله عنه بدًّا قتل أباه لكونه مع المشركين، ولأن أباه كان يريد قتله، ونزل فيه قول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨١١)، ومسلم (١٨١١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٢٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ ﴾[المجادلة:٢٢]، فهو من الذين لم يوادّوا المشركين ولو كانوا أبناءً أو آباءً أو إخوةً، وهو من الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان، وأيّدهم بروح منه، وأدخلهم جنّات. وذكر النبيّ ﷺ أنّه «**لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هذه الْأُمَّةِ أبو عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ**»[1]. مات رضي الله عنه سنة ثمان عشرة من الهجرة، في خلافة عمر رضي الله عنه، في الطاعون الذي سمّي طاعون عمواس، وقد كان عمر رضي الله عنه بعد أن وَلِيَ الخلافة عزل خالد بن الوليد رضي الله عنه من قيادة الجيش في الشام، وأمَّرَ أبا عبيدة رضي الله عنه بدلًا منه.

فهؤلاء هم الخلفاء، وأتباعهم وأعوانهم الذين كانوا معهم، نشهد للجميع بأنّهم من أهل الخير، وأنّهم من أهل الجنّة كما شهد لهم نبيّهم ﷺ، وكلهم من قريش، وكلهم من المهاجرين إلى الله تعالى، وكلهم من السابقين الأولين الذين ورد فضلهم في القرآن، وخُتم لهم بالأعمال الصالحة، ولم ينقم عليهم ما يكون سببًا لمخالفة ما شهد به النبي ﷺ.

كذلك شهد النبي ﷺ لغير هؤلاء العشرة بالجنة، كما في قصة ثابت بن قيس ابن شماس رضي الله عنه، بشره النبي ﷺ أنّه من أهل الجنّة[2]. يقول الراوي: فكان يمشي بيننا وهو من أهل الجنّة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وكذلك قوله ﷺ لبلال رضي الله عنه: «**فَإِنِّي سمعت اللَّيْلَةَ خَشْفَ نَعْلَيْكَ بين يَدَيَّ في الجَنَّةِ**»(١).

وثبت عنه ﷺ أنّه قال: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ إن شَاءَ الله من أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**»(٢)، وكانوا أكثر من ألف وأربعمئة الذين بايعوا بيعة الرضوان، وفي هذا شهادة من النبي ﷺ أنّهم لا يدخلون النار، أو أنَّهم من أهل الجنّة؛ لأنّ من لم يدخل دخل الجنّة، ولا بدّ.

وكذلك أهل بدر الذين عددهم ثلاثمائة وبضعة عشر؛ قد ثبت أنّ النبيّ ﷺ قال: «**لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قد اطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ فقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(٣)، فمثل هؤلاء إذا كان الله قد غفر لهم، فذلك دليل على أنّهم من أهل الجنّة. وبقيّة الصحابة رضي الله عنهم، يُرجى لهم الخير؛ وذلك لسبقهم وأعمالهم الصالحة، وقد أنزل الله فيهم آيات تدلّ على سبقهم وتدلّ على فوزهم، قال تعالى: ﴿**وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ**﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقوله عز وجل: ﴿**لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ**﴾ [الحشر: ٨]؛ المهاجرون: الذين هاجروا من مكّة إلى المدينة، والأنصار: الذين أسلموا في المدينة، والذين اتبعوهم بإحسان: الذين أسلموا فيما بعد.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩٦) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وكذلك -أيضًا- الأحاديث النبوية في فضائلهم كثيرة، ومع ذلك فإنَّ هؤلاء الرافضة يجحدون ذلك كله، ولا يقرون به، ولما رأوا القرآن ليس فيه ذكر لعلي رضي الله عنه، ولا لأولاد علي اتهموا الصحابة رضي الله عنهم أنَّهم حذفوا منه، وقالوا: إنَّهم حذفوا منه الثلثين.

وذكر محب الدين الخطيب رحمه الله في رسالته التي سماها: «الخطوط العريضة»، يقول: إنَّهم يحرفون القرآن ويزيدون فيه، ومن جملة ما زادوه إنَّهم يقولون: إنَّ الصحابة حذفوا آية من سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:١]، ألا وهي: (وجعلنا عليًا صهرك)، هكذا يقولون. فأين هذه الآية؟ لماذا لم يقرأها علي؟ ولماذ لم يكتبها في مصحفه؟ إنَّما هي زيادات، وأيضًا السورة مكية قبل أن يكون عليٌّ صهرًا للنبي ﷺ، ولكن هؤلاء قومٌ لا يعقلون، نعوذ بالله من الجهل والكبر.

١٩- وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الْصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ
وَلاَ تَكُ طَعَّانًا تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ

الشرح:

يرد بذلك على الرافضة الذين يكفرون الصحابة، فإن الصحابة رضي الله عنهم عندنا كلهم عدول؛ وذلك لأن الله تعالى اختارهم لصحبة نبيه ﷺ ولحمل دينه، فهم الذين بلغونا القرآن، وهم الذين جاهدوا مع النبي ﷺ، وصبروا على الجهاد، فالمهاجرون هاجروا من بلادهم، وتركوا أموالهم وديارهم وأهليهم لما امتلأت قلوبهم بالإيمان، فآثروا الإيمان وآثروا النبي ﷺ والعمل الصالح على أهليهم، وعلى أموالهم.

لاشك أن هذا دليل على امتلاء قلوبهم بالإيمان، فيجب أن نقول فيهم كلهم أحسن قول صحيح؛ لأنهم صحابة النبي ﷺ، المهاجرون هاجروا بلادهم وجاؤوا إلى النبي ﷺ، أما الأنصار فإنهم أهل المدينة أسلموا بمكة أو كثير منهم، وتعهدوا للنبي ﷺ بأن يؤوه، وأن يجتهدوا في نصرته، وأن ينصروه مما ينصرون منه أهليهم وأولادهم وبلادهم، وقد صدقوا، وكذلك الذين أسلموا بعدهم.

(ولا تكُ طعاناً تَعِيبُ وتَجْرَحُ) أي كما فعل الرافضة الذين نصبوا العداوة للنبي ﷺ حقاً حيث طعنوا في أصهاره، فإن أبابكر وعمر رضي الله عنهما كل منهما قد تزوج النبي ﷺ ابنته فمن طعن فيهما، أو في زوجتيهما فقد طعن في زوجهما وهو محمد ﷺ، حيث إن من زوجاته من تكون كافرة فاجرة، وهو مع ذلك

يبقى معهما ويمسكهما، مع قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾[الممتحنة: ١٠] وليس هناك سبب يمنعه من فراقهما، والله يطلعه على حالهما، وحال أبويهما، والجميع في اعتقاد الرافضة كفار ومنافقون، وطعنوا كذلك في علي ﵁ فقد بايعهما، وبقي في خلافة الثلاثة خمساً وعشرين سنة، يصلي خلفهم، ويقضي لهم، وينفذ لهم الحدود، مع شجاعته وقوته التي يصفونه بها، فالطعن في الصحابة والخلفاء الراشدين ﵃ تكذيب لله تعالى حيث مدحهم، وأثنى عليهم في القرآن، وتكذيب للنبي ﷺ الذي مدحهم، وذكر أنهم من أهل الجنة، وقدح أيضاً في علي رضي الله تعالى عنه فقد بايعهم واستمر في خلافتهم، ولم ينكر شيئاً من سيرتهم، بل قد صاهر عمر بن الخطاب ﵁، فزوجه أم كلثوم ابنته من فاطمة ﵂، وبقيت عنده وولدت له ولد اسمه زيد، وماتت عنده رضي الله عن الجميع.

٢٠- فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِيْنُ بِفَضْلِهِمْ
وَفِي الْفَتْحِ آيٌ لِلْصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

الشرح:

ذكر الله تعالى الجميع في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فالمهاجرون: الذين هاجروا قبل فتح مكة، والأنصار: الذين نصروا النبي ﷺ، والذين اتبعوهم بإحسان: الذين أسلموا بعد الفتح، والذين تمكن الإسلام من قلوبهم فجاهدوا مع النبي ﷺ؛ غزوا معه ﷺ في حنين وفتح الله تعالى عليهم، ثم كذلك غزوا معه في الطائف وحاصروا الطائف، ثم رجعوا إلى المدينة، وكثير من الذين أسلموا انتقلوا إلى المدينة. أيضًا غزوا مع النبي ﷺ في تبوك وكان عددهم نحو أربعين ألفًا، كل ذلك دليل على أنهم آمنوا إيمانًا صحيحًا امتلأت به قلوبهم، فلا يجوز لنا أن نطعن فيهم، ولا أن نضلل أو نكفر أو نحو ذلك.

قول الناظم: (وَفِي الْفَتْحِ آيٌ لِلْصَّحَابَةِ تَمْدَحُ)، أي: في سورة (الفتح)، في قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الفتح: ٤، ٥]، هذه آيات تمدح المؤمنين، وفي قوله جل وعلا: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح: ١٨]،

وكان عدد الذين بايعوا يزيد عن ألف وأربعمئة بايعوا النبي ﷺ بيعة صادقة، فرضي الله تعالى عنهم وأثابهم فتحًا قريبًا.

وقال عز وجل: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[الفتح:٢٠]، وقال عز وجل: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[الفتح:٢٦]، لا شك أن هذا مدح لهم، وهكذا أيضًا وعدهم بالفتح بقوله جل وعلا: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾[الفتح:٢٧]، مدحٌ لهم سواء الذين دخلوا مكة في سنة سبع وهي عمرة القضية، أو الذين حجوا مع النبي ﷺ في سنة عشر.

ثم ختم السورة بقوله جل شأنه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[الفتح:٢٩]، فالذين يحزنون منهم، ويغتاظون منهم، تدل الآية على أنهم كفار، فمن غاظه الصحابة رضي الله عنهم صدق عليه أنه كافر والعياذ بالله.

وكذلك -أيضًا- مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[المائدة:٥٤]، هؤلاء هم الصحابة رضي الله عنهم الذين قاتلوا المرتدين.

وهكذا -أيضًا- مدحهم بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ﴾[الأنفال:٧٢-٧٥]، كل ذلك مدح لهم وشهادة أنهم آمنوا، وأنهم هاجروا في سبيل الله، وأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

وكذلك مدحهم بقوله جل وعلا: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٢-٢٣].

كذلك -أيضًا- مدحهم بقوله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٨-٩] هذا في المهاجرين والأنصار، إلى قوله جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾، يعني: الذين جاؤوا بعد الفتح ونحو ذلك ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر:١٠]، فهذه حالة الصحابة.

وكذلك -أيضًا- جاءت في فضائلهم أحاديث كثيرة، ولأجل ذلك اهتم الصحابة رضي الله عنهم بالأعمال الصالحة، ثم إن علماء الأمة اهتموا بذكر فضائلهم، لَمَّا رأوا طعن الرافضة، فالرافضة -لعنهم الله- لما غلوا في علي رضي الله عنه بسبب أنهم سمعوا من يسبه في زمنهم في عهد الحجاج ونحوه، فلَمَّا غلوا فيه وكذبوا ورووا فيه أحاديث ليست صحيحة، عند ذلك قالوا: إن الذين تولوا قبله مغتصبون، وأن الصحابة الذين أقروا خلافة أبي بكر وعمر وعثمان لاشك أنهم كتموا أحقية علي بالخلافة. فلأجل ذلك قالوا: لابد أن نعتقد أن الجميع قد ارتدوا إلا عددًا قليلًا.

هكذا يذكرون، ويعتقدون أن الصحابة قد كفروا؛ فلأجل ذلك أخذوا يقدحون في الصحابة، ويذكرون مساوئ لهم ويطعنون فيهم.

ولأجل ذلك يقول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلاَ تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ) أي: تطعن في الصحابة وتعيبهم وتجرحهم، لكن الرافضة تناسوا فضائلهم وجعلوا الأدلة التي في فضلهم كلها بطلت -في زعمهم- بردتهم، وأنهم لَـمَّا لم يولوا عليًا كان ذلك كفرًا منهم وكان ذلك ردة، هكذا يعتقدون.

نقول: إنكم قد كفرتم بهذا حيث إنكم طعنتم في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فمن أين أتانا هذا القرآن إلا بواسطتهم؟ !! ومن أين أتتنا هذه الشريعة إلا بواسطتهم؟!! إذا كانوا كفارًا بزعمكم فمعنى ذلك أنهم جاؤوا بما ليس بصحيح، وأن القرآن ليس بصحيح.

الرافضة -أيضًا- تعدَّوا على القرآن، وقالوا: إن الصحابة كتموا منه ما يتعلق بفضائل علي وولديه وذريته، الذين هم ذرية الحسن والحسين وفاطمة، فلأجل ذلك كفَّروهم وطعنوا في القرآن.

كذلك -أيضًا- اعتقدوا أن القرآن الموجود ناقص فليس فيه فضائل علي مع أن فيه فضائل الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فيقدحون فيه ويقدحون في الخلفاء وأمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، ويركبون عليهم الآيات التي في القصص السابقة، فيقولون في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ [البقرة: ٦٧]، أن البقرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لعنهم الله على قولهم هذا.

ويقولون -أيضًا- في قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١]: أن المراد بيديه أبو بكر وعمر، وكذلك قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١]: أن المراد بالجبت والطاغوت أبو بكر وعمر، وأشباه ذلك من تأويلاتهم البعيدة.

ولهم ورد يقرؤونه صباحًا ومساءً يقولون في أوله: اللهم العن صنمي قريش، وجبتيهما وطاغوتيهما وابنتيهما. يريدون بالصنمين والجبتين والطاغوتين: أبا بكر وعمر، وابنتيهما: حفصة وعائشة رضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ وأزواجه.

كذلك غلوا في علي رضي الله عنه، وقالوا في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[يس:١٢]، أن المراد بالإمام علي، مع أن الآية مكية قبل أن يكون لعلي رضي الله عنه مكانة أو شهرة.

وهناك تفسير لأحد أئمتهم فسر فيه قول الله تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[الرحمن: ١٩]، البحران: يقول علي وفاطمة، ويلتقيان بالنكاح ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[الرحمن: ٢٢]؛ هما الحسن والحسين، ومثل ذلك أعاجيب وأكاذيب كثيرة راجت عليهم؛ لأنهم سلبوا العقل والمعرفة، وما زالوا مصرين على هذه العقيدة الفاسدة المنحرفة.

ولا شك أن هذا مما تجاوزا الحد في علي رضي الله عنه إلى أن أعطوه شيئًا من حق الله تعالى، وصاروا يغلون فيه ويدعونه مع الله عند مكان يسمونه (النجف) يقولون: إن فيه قبر علي، وغلوا أيضًا في ابنه الحسين وتجاوزوا الحد، وصاروا كل سنة يجعلون يوم حزن على الحسين؛ لأنه قُتل مظلومًا في يوم عاشوراء، فهو يوم حزنهم، يظهرون فيه الحزن، ويكشفون رؤوسهم، ويضربون صدورهم، وكل ذلك جهل مركب، وعندهم خرافات وعجائب يعجب منها كل ذي عقل، ولكن هكذا قضي على عقولهم، فيصدقون ما هو محال -والعياذ بالله- نسأل الله العفو والعافية.

٢١- وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُوْرِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ ... دَعَامَةُ عِقْدِ الدِّيْنِ وَالدِّيْنُ أَفْيَحُ

الشرح:

لما ذكر الخلفاء والصحابة رضي الله عنهم، وما يُقال فيهم، ذكر بعد ذلك ركنًا من أركان الإيمان، أي: الإيمان بالقدر؛ وهو أحد أركان الإيمان، لما ذكر النبي ﷺ الإيمان قال: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[1]. ثمَّ الذين أنكروا القدر قسمان:

قسمٌ: أنكروا العلم.

وقسمٌ: أنكروا القدرة.

الذين أنكروا العلم يقولون: إنَّ الله فلا يعلم الأمور المستقبلة، فلا يعلم متى يولد هذا، ولا يعلم متى يموت هذا، ولا يعلم ما يكون في الأمور المستقبلة حتى تقع، ولا يعلم عدد من يولد في هذه البلاد، ولا من يموت في هذه البلاد، وهذا قول غلاة القدرية. فيقول فيهم الشافعي رحمه الله: «ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوه فقد كفروا»[2]؛ وذلك لأنَّ الآيات كثيرةٌ في إثبات العلم عامة، مثل قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (ص٢٧)، ومجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٩)، وطريق الهجرتين (٢٤٣).

[البقرة: ٢٨٢]، فيدخل في ذلك الأمور المستقبلة، ومثل قوله جل وعلا: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾، كيف لا يعلم من خلق ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ومثل قوله عز وجل: ﴿يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[النحل: ١٩]، ومثل قوله جل وعلا: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[يونس: ٦١]، ومثل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]، ومثل قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام: ٥٩]، والآيات كثيرة ترد على هؤلاء.

وكان أوَّل من اشتهر بذلك رجلٌ يقال له: معبد الجهني، اشتهر بذلك، فأنكر عليه أهل زمانه.

فأول حديث في صحيح مسلم بعد المقدمة حديث عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبدالرحمن الحميري، يقول: إنَّهم ذهبوا إلى مكة فسألوا ابن عمر رضي الله عنهما وقالوا: يا أَبا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ -وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ- وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لا قَدَرَ وَأَنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: «فإذا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخبِرْهُمْ أَنِّي بريءٌ منهم، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عبد الله بن عُمَرَ: لو أَنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا

فَأَنْفَقَهُ، ما قَبِلَ الله منه حتى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»[١].

فالحاصلُ: أنَّ هؤلاءِ ينكرون علم الله السابق، فيُرد عليهم بالعلم.

أمَّا الذين ينكرون القدرة فهم: المعتزلة، ينكرون قدرة الله على كلِّ شيء، ويسمون هذا الاعتقاد العدل، ويقولون: إنَّ الله لا يقدر على الهداية والإضلال، لا يقدر على أن يهدي هذا ولا يضل هذا، بل العبد هو الذي يضل نفسه، أو يهدي نفسه، ويقولون: إذا أراد العبد شيئًا وأراد الله ضده غلبت قدرة العبد على قدرة الله، ويقولون: إنَّنا بذلك ننزِّه الله عن الظلم؛ لأنَّه إذا خلق المعصية والكفر والبدعة في هذا الإنسان ثم عذبه كان ذلك ظلمًا، والله لا يظلم أحدًا، فإذا كان هو الذي خلق المعصية، وخلق هذا الذنب ثم عذبه فقد ظلمه، هذا سبب إنكارهم لقدرة الله.

ويُرد عليهم بما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «القدر قدرة الله»[٢]، أي: من أقر بقدرة الله، أقر بأنَّه يفعل ما يشاء، وأنَّه لا راد لما قضى، ولا مقدِّم لمن أخَّر، ولا مؤخِّر لمن قدَّم، ولا رادَّ لقضائه، ولا معقِّب لحكمه، ولا يكون في الوجود إلَّا ما يريد، وأنَّه خالق كل شيء، وربُّ كل شيء، ولو كان العبد يخلق فعله خلقًا مستقلًا لكان الخالق غير قدير على كل شيء؛ ولأجل ذلك فهؤلاء القدرية -الذين هم المعتزلة- أنفسهم يسمون: مجوس هذه الأمة؛ وذلك لأنَّ

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٢٦٢)، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٣/ ٢٥٤)، وابن القيم في شفاء العليل (ص٢٨)، وطريق الهجرتين (ص١٦٣).

المجوس يقولون: إنَّ الوجود صادر عن خالقين: النور، والظلمة، وهؤلاء يجعلون كل إنسان يخلق فعله، فشابهوا المجوس في هذا الاعتقاد، ولا شكَّ أنَّ هذا يعتبر طعنًا على الخالق سبحانه وتعالى، فالواجب أن يؤمن العباد بقدرة الله.

ثمَّ غلا أناس في إثبات ذلك، حتى سلبوا العبد قدرته وإرادته واختياره، وادعوا أنَّه مجبور، وأنَّه ليس له أيَّة اختيار، ويسمون: الجبرية.

فالجبرية هم الذين يقولون: العبد معذور، ليس له أية اختيار، والله هو الذي حرَّك أفعاله، وحرَّك جميع أعضائه، وليس له أيَّة حركة، فهؤلاء يعذرون العاصي، ويقولون: إنَّ الإنسان ليس له أيَّة حركة، فحركة لسانه ليست باختياره، وحركة يده ليست باختياره، ويمثلون حركته بحركة الشجرة التي تحركها الرياح، أو بحركة المرتعش الذي تضطرب يده ولا يقدر على إمساكها، فهؤلاء غلاةٌ أيضًا.

فالمعتزلة غلاة في إنكار قدرة الله على كل شيء، والجبرية غلاةٌ في إنكار القدرة التي للعبد، والتي بها كلف؛ وذلك لأنَّ الله تعالى كلف الخلق، وأمرهم ونهاهم، فأمرهم بأن يفعلوا الطاعات والعبادات، ونهاهم أن يفعلوا المحرمات، وما ذاك إلَّا أنَّ لهم قدرة وهي قدرة تناسبهم، فللعباد قدرةٌ على أفعالهم، ولهم إرادة، ولكن قدرتهم وإرادتهم خاضعة لقدرة الله تعالى، فالله خالقهم، وخالق قدرتهم، وخالق إرادتهم، يثيبهم على هذه القدرة التي مكنهم بها، أو يعاقبهم عليها، وتنسب أفعالهم إليهم؛ لأنَّهم الذين زاولوها، وإن كانت

بإرادة الله.

وأهل السنة يقسِّمون الإرادة إلى قسمين:

- إرادة كونية.
- وإرادة شرعية.

فالإرادة الكونية القدرية: هي التي يدخل فيها كل الأشياء، أي: أنَّ الله تعالى أراد جميع ما في الوجود، فالمعاصي أرادها الله كونًا وقدرًا، والكفر أراده الله كونًا وقدرًا، والبدع أرادها الله كونًا وقدرًا، ولكنه لا يحبها، بل نهى عنها مع أنَّها داخلةٌ في مشيئته وقدرته، فهذه تسمى إرادة كونية قدرية.

والطاعات أرادها الله دينًا وشرعًا، فأراد من الجميع الإيمان، وأراد من الجميع الطاعة، وأراد من الجميع ترك المعصية إرادة شرعية.

فالإرادة الكونية يقع مرادها، ولكن منه ما هو محبوب كالطاعات، وما ليس بمحبوب كالمحرمات.

وأما الإرادة الشرعية فقد يقع مرادها وقد لا يقع، فالمؤمنون أراد الله منهم الإيمان فوقع، فاجتمعت فيهم الإرادتان: الكونية والشرعية، والكفار أراد الله منهم الإيمان دينًا وشرعًا، ولم يرده منهم كونًا وقدرًا، فلأجل ذلك ما وقع.

فنقول: (وَبِالْقَدَرِ الْـمَقْدُوْرِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ   دَعَامَةُ عِقْدِ الدِّيْنِ وَالدِّيْنُ أَفْيَحُ)

الدعامة: هي الأساس، نقول: هذا الجدار له دعامة، أي: له أساس، وهذه السواري لها دعامة، أي: لها أساس، فجعلوا القدر دعامة عقد الدين، (وَالدِّيْنُ أَفْيَحُ): أي: والدين واسع.

ثـمَّ أهـل الـسنة يقولـون: نـؤمن بـأنَّ المعـاصي وقعـت بقـدر الله، ولكنـه ما أحبها، ولا أرادها دينًا وشرعًا، وقـد أعطـى هـؤلاء العـصاة قـدرة تناسـبهم، ولكنهـا خاضـعة لقـدرة الله، فلهـم قـدرة تناسـبهم، قـال الله تعـالى: ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [المـدثر:٥٥، ٥٦]، فـأخبر: بـأنَّ لهـم مـشيئة، ثـمَّ علـق مـشيئتهم التـي ذكرهـا بأنهـا بعـد مـشيئة الله، أي: لـو شـاء الله ما حصلوا.

وكذلك قوله تعـالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٢٩، ٣٠]، أخبر: بأنَّ الإنسان له مشيئة، ثمَّ جعل مشيئتهم خاضعة لمشيئة الله بقوله: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

فقوله عز وجل: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾، يدل على قول المعتزلة: أنَّ للعباد مـشيئة، وأنَّهـم يـستقلون بالفعـل، ولكـن قولـه: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، ردٌّ عليهم، بأن للعباد مشيئة، وأن مشيئتهم خاضعة لمشيئة الله.

ومثلـه قولـه تعـالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨]، أثبـت لهـم مـشيئة، ثـم قـال جـل وعـلا: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير:٢٩]، ونحو ذلك من الآيات.

٢٢- وَلا تُنْكِـرَنْ جَهْـلًا نَكِـيْرًا وَمُنْكَـرًا
وَلا الْـحَوْضَ وَالْمِيْـزَانَ إِنَّـكَ تُنْـصَحُ

الشرح:

هـذا البيـت في إثبـات عـذاب القـبر، الـذي دلـت عليـه نـصوص الكتـاب والسنة، ففـي حـديث الـبراء بـن عـازب رضي الله عنه الطويـل، الـذي أخرجـه أحمـد[1] وأصحاب السنن[2]، وجاء فيه أن العبد بعـدما يوضـع في قـبره ويُـدفن، «فَتُعَادُ رُوحُـهُ فِي جَـسَدِهِ، فَيَأْتِيـهِ مَلَكَـانِ -نكـير ومنكـر- فَيُجْلِـسَانِهِ فَيَقُـولاَنَ لَـهُ: مَـنْ رَبُّكَ؟»، أما العبـد المؤمن: «فيقـول: ربي الله، فَيَقُـولاَنِ لـه: مـا دِينُـكَ؟ فيقـول: ديني الإِسْلاَمُ، فَيَقُولاَنِ له ما هذا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فيقول: هـو رسـول الله صلى الله عليه وسلم، فَيَقُولاَنِ له: وما عِلْمُكَ؟ فيقول: قرأت كِتَابَ الله فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أن صَدَقَ عبدي، فافرشوه مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِـنَ الْجَنَّـةِ، وَافْتَحُـوا لـه بَابًـا إِلَى الْجَنَّـةِ، فَيَأْتِيـهِ مـن رَوْحِهَـا وَطِيبِهَـا، وَيُفْـسَحُ لـه في قَـبْرِهِ مَـدَّ بَصَرِهِ».

أما العبد الكافر فإنَّه لا يثبـت عنـد سـؤال الملكـين، إذا سـألاه: مـن ربـك؟ «فيقـول: هَـاهْ هَـاهْ لاَ أَدْرِي، فَيَقُـولاَنِ لـه مـا دِينُـكَ؟ فيقـول: هَـاهْ هَـاهْ لاَ أَدْرِي،

---

(١) في المسند (٤/ ٢٨٧).

(٢) أخرجـه أبـو داود (٤٧٥٣)، والنـسائي (٢٠٠١)، وابـن ماجـه (١٥٤٩). ولـه شـاهد مـن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

فَيَقُولاَنِ له: ما هذا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فيقول: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أن كَذَبَ، فَافْرِشُوا له مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا له بَابًا إلى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ من حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عليه قَبْرُهُ حتى تَخْتَلِفَ فيه أَضْلاَعُهُ».

فالقبر إما أن يكون روضةٌ من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، ولكن ذلك مغيَّب عنا؛ لأنَّنا في عالمٍ والأرواح في عالم، وقد أطال العلماء في الكلام على عذاب القبر.

كما ذكر ابن القيم في كتابه الذي سماه: «الروح»، وابن أبي الدنيا في كثير من كتبه، وابن رجب في كتابه: «أهوال القبور»، وغيرهم ممن توسعوا في هذا، وذكروا أنَّ الروح لها تعلق بالبدن، وأنَّ ذلك التعلق على خمسة أقسام:

الأول: تعلق الروح بالبدن في الرحم، فإنَّ الجنين في الرحم تتصل به الروح؛ ولذلك يتحرك في بطن أمه.

الثاني: إذا خرج إلى الدنيا، فإنَّها تكون معه هذه الروح، التي يحيا بها، ويتحرك، ويتقلب في أموره، وينطق، ويسمع، ويبصر.

الثالث: النوم، إذا نام فإنَّ روحه تخرج، ولكن لا تفارقه فراقًا كليًا؛ ولذلك إذا قام من النوم يقول: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»[1]، «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي**»[2]، فدل على أنَّها تفارقه، ولكن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٢)، ومسلم (٢٧١١) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه النووي في كتابه الأذكار (ص١٦).

ليس فراقًا كليًا.

الرابع: البرزخ، أي: بعد الموت، وقبل البعث، فالروح قد تتصل بالبدن ولو كان رميماً أو رماداً.

الخامس: بعد البعث، أي: يوم القيامة، وهو أتمها عندما تجمع الأبدان فتأتي الأرواح وتتصل بها اتصالاً كلياً.

فالأحكام في الدنيا على الأبدان والأرواح تابعة لها، والأحكام في البرزخ على الأرواح؛ لأنَّ الأبدان قد تفنى، ولكن تكون الأبدان تابعة للأرواح، والله - عز وجل - قادر على أن يوصل الألم إلى البدن ولو كانت ترابًا أو رمادًا، والأحكام في الآخرة على الاثنين: على الروح، وعلى البدن.

وقد تكلموا -أيضًا- على حقيقة الروح، ما هي هذه الروح، وتحيروا كيف نفسرها. ما كيفيتها؟

فلاشكَّ أنَّ الروح مخلوقة، ولا شكَّ أنَّها بعد الموت باقية.

فإذا قيل: أليس الله يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء:٣٥]؟ نقول: بلى، ولكن موت الروح خروجها من البدن، فإنَّ هذا هو موتها.

وقد اضطربت الأقوال فيها، حتى إنَّ بعض الفلاسفة يقولون: إنَّها ليست مخلوقة، إنَّها نازلة من السماء؛ فلذلك السفاريني أثبت أنَّها مخلوقة، يقول في منظومته(١):

وأنَّ أَرْوَاحَ الوَرَىٰ لَمْ تُعْدَمِ ... مَعْ كَوْنِهَا مخلوقَةً فَاسْتَفهِمِ

---

(١) انظر: العقيدة السفارينية (ص٧٥).

فالصحيح: أنَّها مخلوقة، وأنَّها تموت، وموتها خروجها من البدن، وأنَّها باقية، وأما الفلاسفة فيدَّعون أنَّها غير مخلوقة، وأنَّها هبطت إلى إنسان ثم خرجت منه، وفي ذلك يقول ابن سينا[1]:

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ المَحَلِّ الأَرْفَعِ   وَرْقَـاءُ ذَاتُ تَقَلُّـبٍ وَتَفَجُّـعِ
وَصَلَتْ عَلَى كُرْهٍ فَلَمَّا وَاصَلَتْ   أَلِفَـتْ مُرَافَقَـةَ الخَرَابِ البَلْقَـعِ

فيدَّعي أنَّها ليست مخلوقة، وأنَّها نزلت من السماء، وأنَّها خرجت، وأنَّها ليس لها جسمٌ، وليس لها جرم، ونحو ذلك.

لكن لا يُسلَّم لهم أنّها قديمة، وإنما هي مخلوقة مكوّنة بعد أن كانت عدمًا؛ فإنّ الله تعالى هو خالق كلّ شيء، ففي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»[2].

وقد ردَّ على هؤلاء ابن القيم في كتاب «الروح»، وأطال في ذلك، وعرَّف الروح بأنَّها: «جسمٌ نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكًا لهذه الأعضاء، وأفادها هذه

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام (٢٩/ ٢٣٠).
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٦).

الآثار من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح»[١].

وقد اختلفوا في مقر الأرواح، وأطالوا الكلام، وذكروا آثارًا الله أعلم بصحتها، يقول بعضهم: «خير بئر في الناس بئر زمزم، وشر بئر في الناس بئر برهوت، وإليها تجتمع أرواح الكفار»[٢]، وهي بئرٌ خبيثة توجد في حضرموت، ولكن لا شيء يدل على ذلك، إنما تكون الأرواح حيث يشاء الله، إما منعمة أو معذبة.

يقول الناظم: (وَلا الْحَوْضَ وَالْمِيْزَانَ)، أي: ولا تنكر الحوض والميزان، وقد أطال العلماء الكلام -أيضًا- على الحوض والميزان، وقد أخبر النبي ﷺ بأنَّ له حوضًا موروداً، فقال: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»[٣]، وقال ﷺ: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ من آيلة من عَدَنٍ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا من الثَّلْجِ، وَأَحْلَى من الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ من عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لَأَصُدُّ

(١) الروح (ص١٧٨، ١٧٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٩٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥/ ١١٦)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٤١/ ٤٦٨) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

الناس عنه كما **يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ الناس عن حَوْضِهِ**»[1]، وأن لكل نبي حوضًا، وأن نبينا ﷺ أكثرهم واردًا.

والأحاديث فيه كثيرة، ذكرها ابن كثير في آخر تأريخه في النهاية، وأشار إليها -أيضًا- الذين تكلموا في ذلك.

وأما الميزان فإنَّه مذكور في القرآن، في قول الله تعالى: ﴿**وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف: ٨]، وقوله عز وجل: ﴿**وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ**﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وكذلك في أواخر سورة المؤمنون، وفي سورة القارعة، وورد -أيضًا- ذكر الوزن في آياتٍ أخرى، فنؤمن بالميزان، وأنه ميزان حقيقي له كفتان توزن فيه الأعمال.

واختلف العلماء فيما يوزن بهذا الميزان على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنَّ الذي يوزن هو الإنسان نفسه، يوضع في الميزان ويخف أو يثقل، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ **فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا** ﴾ [الكهف: ١٠٥]. وبقول النبي ﷺ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ الله**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»[١]، وقال في ابن مسعود ﵁ لما عجبوا من دقة ساقيه: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَهُمَا أَثْقَلُ في المِيزَانِ من أُحُدٍ»[٢].

القول الثاني: أنَّ الذي يوزن هو الصحف التي تكتب فيها الأعمال، كما في حديث صاحب البطاقة: «إِنَّ الله سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رؤُوسِ الخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ وَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَيُخْرِجُ لَهُ بِطَاقَةً فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتَ السِّجِلاتُ وَثَقُلَتَ الْبِطَاقَةُ، قَالَ: فَلا يَثْقُلُ اسْمَ الله شَيْءٌ»[٣]، فهذا دليل على أنَّ الذي يوزن هو الصحف.

القول الثالث: أنَّ الأعمال هي التي توزن، يجسدها الله، ولو كانت أعراضًا نحن لا نشاهدها، فإن الله تعالى قادر على أن يقلبها أجسامًا، واستدلوا على

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠)، وأبو يعلى (٩/ ٢٤٧) من حديث ابن مسعود ﵁.

(٣) أخرجه الترمذي «٢٦٣٩»، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٢١٣)، من حديث عبدالله ابن عمرو بن العاص ﵄.

ذلك بقوله ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ»[1]، فكلمة (سبحان الله)، هذه الحروف هل لها جرم، إذا خرجت منك هل تقدر أن تمسكها لأنها عرض، ولكن النبي ﷺ أخبر أنَّها توزن: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلَآنِ أو تَمْلَأُ ما بين السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»[2]، فدلَّ: على أنها تجسد الكلمات يجعلها الله أجساداً.

والصلاة ليس لها جسم ولكن ورد في الحديث أن هذه الصلاة تصعد إلى السماء وتفتح لها أو تغلق دونها[3].

فهذا القول في الميزان.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٣) انظر: فتح الباري (١٣/ ٥٣٩).

٢٣- وقُــلْ يُخْــرِجُ اللهُ الْعَظِــيْمُ بِفَــضْلِهِ
مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ

٢٤- عَـلى النهـرِ في الفِـرْدوسِ تَحْيَـا بِمَائِـهِ
كَحَبَّـةِ حَمْـلِ الـسَّيْلِ إِذْ جَـاءَ يَطْفَـحُ

الشرح:

هـذا فيـه إثبـات الـشفاعة، بـأنَّ النبـي ﷺ يـشفع، والملائكـة يـشفعون، والأنبياء يشفعون في أناسٍ من أهل التوحيد، ولكـن عنـدهم سيئات، وكبائر، وبـدع، وذنـوب أوبقـتهم، فيـدخلون النـار، ويبقـون فيهـا، فقـد يبقـون سـنة، وسـنتين، وعـشرًا، ومائـة سـنة، وألـف سـنة، ثـم بعـدما يمحَّـصون يـأذن الله بإخراجهم، فيُخْرَجون من النـار أجسادهم كأنَّهـا الفحـم، يعنـي: قـد صـارت حممًا، وصارت فحمًا، فتطرح في نهرٍ يسمى نهر الحياة، ويصب عليهم أهـل الجنـة من ماء الجنة حتى ينبتوا، مع كونهم قـد احترقـوا وأصبحوا حممًا، ولكـن تنبـت أجسادهم شيئًا فشيئًا كما تنبت الحبـة في حميـل الـسيل، فـإن الـسيل إذا جـاء مـع الأودية يحمل حبات صغيرة، تطفح هـذه الحبـات، ثـمَّ إذا انحسر تتجمـع هـذه الحبات في أطراف الوادي من هنا ومن هنا، فتنبـت نباتًـا رقيقًـا دقيقًـا، ثـمَّ تكـبر ويشتد عودها، فشبَّه نباتهم بهذا.

ويدل لذلك ما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قـال: «**إذا أَرَادَ اللهُ رَحْمَةَ من أَرَادَ من أَهْلِ النَّـارِ أَمَـرَ اللهُ المَلَائِكَـةَ أَنْ يُخْرِجُـوا مـن كـان يَعْبُدُ اللهَ، فَيُخْرِجُـونَهُمْ وَيَعْرِفُـونَهُمْ بِآثَـارِ الـسُّجُودِ، وَحَـرَّمَ اللهُ عـلى النَّـارِ أَنْ تَأْكُـلَ أَثَـرَ**

السُّجُودِ، فَكُلُّ ابن آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إلا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ من النَّارِ قد امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عليهم مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كما تَنْبُتُ الْحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ»(١).

وفي حديثٍ عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لَيُصِيبَنَّ أَقْوَامًا سَفْعٌ من النَّارِ بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا عُقُوبَةً، ثُمَّ يُدْخِلُهُمْ اللَّهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، يُقَالُ لهم: الجَهَنَّمِيُّونَ»(٢).

ويسمون: الجهنَّميُّون؛ لأنَّهم أطالوا البقاء في جهنَّم، ويسألون الله بعد ذلك أن يزيل عنهم هذا الاسم.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٥٠).

٢٥- وإن رَسُـــولَ الله للخَلْـــقِ شَـــافِعٌ
وقُـلْ في عَـذَابِ القَـبْرِ حَـقٌ مُوَضـحُ

الشرح:

يؤمن أهل السنة بأن النبي ﷺ هو الشافع المشفع، ويفسرون بذلك قول الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[الإسراء:٧٩]، فإن المقام المحمود هو أن يقبل شفاعته، ووردت أحاديث كثيرة مثل قوله ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ يوم الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمْ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاس من الْغَمِّ وَالْكَرْبِ ما لا يُطِيقُونَ وما لا يَحْتَمِلُونَ، فيقول بَعْضُ الناس لِبَعْضٍ: ألا تَرَوْنَ ما أَنْتُمْ فيه؟ ألا تَرَوْنَ ما قد بَلَغَكُمْ؟ ألا تَنْظُرُونَ من يَشْفَعُ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ؟...»، ذكر أنهم يأتون آدم ثم نوحًا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام، وكل منهم يعتذر عن قبول الشفاعة، ويقول: نفسي نفسي.

قال ﷺ: «فَيَأْتُونِي، فَيَقُولُونَ: يا محمد، أنت رسول اللَّهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ الله لك ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّكَ، ألا تَرَى ما نَحْنُ فيه؟ ألا تَرَى ما قد بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي من مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عليه شَيْئًا لم يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يا محمد، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يا محمد، أَدْخِلْ الْجَنَّةَ من أُمَّتِكَ من لَا حِسَابَ عليه من الْبَابِ الْأَيْمَنِ من أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ الناس فِيمَا سِوَى ذلك من

الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده إِنَّ ما بين الْمِصْرَاعَيْنِ من مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بين مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أو كما بين مَكَّةَ وَبُصْرَى»[1]. ذكر في هذا الحديث شفاعته لأمته، ولكن الأصل أن شفاعته هذه تكون لإراحة الناس من طول الموقف.

وقد تكلم العلماء على الشفاعة: فنفاها المبتدعة كالخوارج والمعتزلة؛ وذلك لأنَّ كل من عمل سيئة فإنه عندهم مخلد في النار، والعياذ بالله.

وأثبتها مطلقًا الكثير من القبوريين والمشركين، وصاروا يطلبونها من نفس النبي ﷺ، وتجاوزوا ذلك إلى أن طلبوها من الأولياء، وشبهوا النبي والأولياء بمن حول الملوك، وقالوا: إن الملوك يحتاجون إلى من يشفع عندهم، فنحن لا نطلب من الله، بل نطلب من الأولياء أو الرسل، ونقول: اشفعوا لنا. ولاشك أيضًا أن هذا شرك؛ لأنه دعاء لغير الله.

وتوسط أهل السنة، فلم ينفوها كالمعتزلة، ولم يثبتوها مطلقًا كالقبوريين، بل أثبتوها ولكن لها شرطان:

الأول: الإذن للشافع أن يشفع.

الثاني: الرضا عن المشفوع.

واجتمع الشرطان في قوله الله تعالى: ﴿ **وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ** ﴾ [النجم:٢٦]، دلت الآية على أنهم ولو كانوا من الملائكة المقربين فإنهم لا يقدرون على أن يشفعوا حتى يأذن الله تعالى لهم، وحتى يرضى أيضًا عن الذين يشفعون فيهم، فلأجل ذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لا تُطلب من غير الله؛ لأنها ملك لله، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤]، يعني: أنها ملكه، وإنما يأذن لمن يشاء، وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾[طه:١٠٩]، فقد اجتمع الشرطان في هذه الآية: ﴿أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، أي: أذن للشافع أن يشفع، ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾، أي: رضي عن المشفوع فيه، والله تعالى لا يرضى الكفر، كما في قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧]، فأخبر تعالى بأنه لا يرضى عن الكفار، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[التوبة: ٩٦].

وعلى كل حال فإن الشفاعة ثابتة.

وللنبي ﷺ خمس شفاعات خصت به، وهي:

الشفاعة الأولى: الشفاعة العظمى التي هي شفاعته لأهل الموقف في أن يأتي الله تعالى لفصل القضاء، يغبطه بها النبيون والمرسلون والملائكة.

الشفاعة الثانية: شفاعته لأهل الجنة أن يدخلوها، قال ﷺ: «**أنا أَوَّلُ الناس يَشْفَعُ في الجَنَّةِ، وأنا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**»(١)، وهو ﷺ أول من يستفتح باب الجنة، قال ﷺ: «**آتِي بَابَ الجَنَّةِ يوم الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فيقول الخَازِنُ مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فيقول: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**»(٢)، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته، فيشفع حتى تُفتح أبواب الجنة، ويدخلوها بشفاعته، ثم

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

يشفع بعد ذلك في بقية الأمم.

الشفاعة الثالثة: شفاعته لبعض أهل الجنة تكون مراتبهم نازلة، فيشفع لهم حتى تُرفع مراتبهم.

الشفاعة الرابعة: وهذه الشفاعة يشركه فيها الأنبياء والأولياء والصالحون والملائكة، وهي: الشفاعة لمن دخل النار من أهل الإيمان وأهل التوحيد أن يُخرجوا منها، وهي التي أشار إليها الناظم في قوله:

وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّـهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ ... مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ
عَلَى النَّهْرِ فِي الفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ ... كَحِبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

فيشفعون فيمن كان في قلبه إيمان، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه يقول الله تعالى: «اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ من إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ ... اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ ... اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ من إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ»[1].

الشفاعة الخامسة: وهي شفاعة خاصة بعمه أبي طالب الذي حماه ونصره، ذكر أنه كان في الدرك الأسفل من النار، فيشفع فيه، ويُخرج من أسفل النار، ويُجعل في ضحضاح من نار، وقد ورد في الحديث: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبو طَالِبٍ، وهو مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»[2]، وفي رواية: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

شَفَاعَتِي يوم الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ في ضَحْضَاحٍ من النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي منه أُمُّ دِمَاغِهِ»(١). بمعنى: أنه وإن كان أخف أهل النار عذابًا، إلا أن هذا عذابه.

فهذا هو قولنا في الشفاعة: أن النبي ﷺ يشفع في الخلق.

وأما عذاب القبر فنقول: إنه حق، قال الناظم:

(وقُلْ في عَذَابِ القَبْرِ حَقٌّ مُوَضحُ)

وقد جاءت أحاديث كثيرة في الاستعاذة من عذاب القبر، حتى في آخر الصلاة قال ﷺ: «إذا تَشَهَّدَ أحدكم فَلْيَسْتَعِذْ بالله من أَرْبَعٍ، يقول: اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ»(٢). فدل على أن الميت يُعذب في قبره.

وجاء في حديث آخر: «إنما الْقَبْرُ رَوْضَةٌ من رِيَاضِ الْجَنَّةِ»، يعني: على المؤمنين، «أو حُفْرَةٌ من حُفَرِ النَّارِ»(٣)، يعني: على الكفار ونحوهم، وأنه يوسع على المؤمن مدّ بصره، وأنه يُضيق على الكافر حتى تختلف أضلاعه كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «فإذا دُفِنَ الْعَبْدُ المُؤْمِنُ قال له الْقَبْرُ: مَرْحَبًا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ٢٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَهْلًا أَمَا إن كُنْتَ لَأَحَبَّ من يَمْشِي على ظَهْرِي إلي، فَإِذْ وُلِّيتُكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إلي فَسَتَرَى صَنِيعِيَ بِكَ، قال: فَيَتَّسِعُ له مُدَّ بَصَرِهِ، وَيُفْتَحُ له بَابٌ إلى الجَنَّةِ، وإذا دُفِنَ الْعَبْدُ الْفَاجِرُ أو الْكَافِرُ قال له الْقَبْرُ: لَا مَرْحَبًا ولا أَهْلًا، أَمَا إن كُنْتَ لَأَبْغَضَ من يَمْشِي على ظَهْرِي إلي، فَإِذْ وُلِّيتُكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إلي فَسَتَرَى صَنِيعِيَ بِكَ، قال: فَيَلْتَئِمُ عَلَيهِ حَتَّى تَلْتَقِي عَلَيهِ وَتَخْتَلِف أَضْلَاعُهُ»[1]. وكذلك جاء أنه يُمتحن في القبر، وأنه يُقال له: «مَنْ ربك؟ ومَنْ نبيك؟ وما دينك؟»[2]. قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [إبراهيم:٢٧]، ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية جملة من الأحاديث التي في عذاب القبر وفي عذاب البرزخ، وكذلك ألف في ذلك ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه الذي سماه «أهوال القبور في أحوال أهلها إلى النشور»، وهو مطبوع، وقد ذكر فيه كثيرًا من الآثار التي تدل على أنه قد يُشاهد في الدنيا علامات لعذاب القبر، ونحن نعرف أن الميت قد خرجت روحه، وأن جسده هو الذي يُدفن في القبر، ونعرف أيضًا أن الجسد يفنى ويكون ترابًا، ولكن التكاليف على هذه الأرواح، وروح الإنسان باقية بعد فراق بدنه، كما قال السفاريني في عقيدته[3]:

وأنَّ أَرْوَاحَ الوَرَىٰ لَمْ تُعْدَمِ ... مَعْ كَوْنِهَا مَخلوقَةً فَاسْتَفْهِمِ

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٠٠).

(٣) انظر: العقيدة السفارينية (ص٧٥).

وقد تكلم ابن القيم رحمه الله في كتاب «الروح» على عذاب القبر، وأطال فيه، وذكر أمثلة وأدلة، وذكر أن الفلاسفة أنكروا عذاب القبر، وقالوا: «فإنا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة عميًا صمًا يضربون الموتى بمطارق من حديد، ولا نجد هناك حيات ولا ثعابين ولا نيرانًا تأجج، ولو كشفنا حالة من الأحوال لوجدناه لم يتغير، ولو وضعنا على عينيه الزئبق وعلى صدره الخردل لوجدناه على حاله، وكيف يفسح مد بصره أو يضيق عليه ونحن نجده بحاله، ونجد مساحته على حد ما حفرناها لم يزد ولم ينقص، وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة وللصورة التي تؤنسه أو توحشه ... ونحن نرى المصلوب على خشبة مدة طويلة لا يُسأل ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه نارًا، ومن افترسته السباع، ونهشته الطيور، وتفرقت أجزاؤه في أجواف السباع، وحواصل الطيور، وبطون الحيتان، ومدارج الرياح، كيف تُسأل أجزاؤه مع تفرقها، وكيف يتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه، وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وكيف يضيق عليه حتى تلتئم أضلاعه»[1].

فرد عليهم ابن القيم رحمه الله بأننا في عالم والأموات في عالم، وأن الأحكام على الأرواح، فالأرواح هي التي تُعذب أو تُنعم، وقد ذكر أيضًا أن حالة اتصال الروح بالبدن خمس حالات وقد تقدمت قريباً.

---

(١) الروح (ص٦١، ٦٢).

ثـم ذكـر أن الأحكـام في الـدنيا للأبـدان والأرواح تبـع لهـا، والأحكـام في الـبرزخ لـلأرواح والأبـدان تبـع لهـا وإن كانـت فانيـة، والأحكـام في الآخـرة للأبدان والأرواح.

وقد أطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر الآثار التي تدل على اتصال الروح بالبدن، وعلى أنها تُعذب وتؤلم ، وأنها تُثاب، وأنها تصعد وتجيء ، وذكـر أمثلـة وأدلـة لـذلك تقرب من مئتي دليل.

ثم ذكر اختلاف الناس في تعريف الروح وماهيتها،وقد مر معنـا التعريـف الذي اختاره رَحِمَهُ ٱللَّهُ واعتبره الأقرب للصواب[1].

---

(١) راجع (ص١٠٣).

٢٦- ولاَ تُكْفِرنْ أَهلَ الصلاةِ وإنْ عَصَوْا
فَكُلهُمُ يَعْصِي وذُو العَرشِ يَصفَحُ

الشرح:

من عقيدة أهل السنة أننا لا نكفر أهل القبلة إلا إذا أتوا مكفرًا، وأن المعاصي لا تخرجهم من الإيمان، وهذا رد على المعتزلة، ورد على الخوارج.

فإن الخوارج يخرجون أهل المعاصي من الإيمان، ويبيحون قتالهم، ويبيحون أخذ أموالهم وسبي ذراريهم ونسائهم، ويدَّعون أنهم بهذه المعاصي خرجوا من الدين، هكذا يقولون.

وقاربهم المعتزلة، فجعلوا أهل المعاصي في منزلة بين المنزلتين -أي: بين الكفر والإسلام- فلا يقولون: إنهم مؤمنون يعاملون معاملة أهل الإيمان، ولا يقولون: إنهم كفار يعاملون معاملة الكفار، فيُقاتلون وتُسلب أموالهم، وتُستباح ذراريهم ونساؤهم.

ولكن اتفق الخوارج والمعتزلة على أن العصاة إذا ماتوا على المعاصي فإنهم في النار مخلدون فيها، وينكرون شفاعة الشافعين جميعًا، ويتأولون أحاديث فيها وعيد على المعاصي، مثل قوله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ**»[1]، أي: نمام، وقوله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ**»[2]، وقوله عليه

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

الصلاة والسلام: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ وَشَقَّ الجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»[١]، وقوله ﷺ: «يا رُوَيْفِعُ، لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ بَعْدِي، فَأَخْبِرْ الناس أَنَّهُ من عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أو تَقَلَّدَ وَتَرًا، أو اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أو عَظْمٍ، فإن مُحَمَّدًا ﷺ مِنْهُ بَرِيءٌ»[٢]، وقوله ﷺ: «اثنتانِ فِي أُمَّتِي هُمَا كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، والنِّيَاحةُ عَلَى المَيِّتِ»[٣]، ومثل الأحاديث التي في تعذيب قاتل نفسه أو غيره من المعاصي.

فنقول: هذه من نصوص الوعيد تمر على ظاهرها، فلا نتأولها بحيث نبطل دلالتها وظاهرها، بل نبقيها على ظاهرها؛ ليكون ذلك أبلغ في الزجر من هذه المعاصي والمحرمات.

وقد جاءت -أيضًا- أحاديث كثيرة تدل على مغفرة الذنوب للعصاة ونحوهم، كالأحاديث التي فيها الشفاعة لهم، وإخراج من بقلبه مثقال ذرة من إيمان من النار، وإلقائهم في نهر الحياة وما أشبه ذلك، وكذلك الأحاديث التي في الرجاء مثل قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى»[٤]، ومثل قوله عليه الصلاة والسلام: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦)، والنسائي (٥٠٧٠)، وأحمد (٤/ ١٠٨)، من حديث رويفع بن ثابت رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري(٤٢٥)، ومسلم(٣٣) عن عتبان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه.

مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»(١)، ومثل قوله ﷺ: «من قال: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ من دُونِ اللَّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ على اللَّهِ»(٢)، ومثل قوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٣). والأحاديث التي في الرجاء كثيرة.

تعلق أهل الإرجاء بهذه الأحاديث، وقالوا: إن المعاصي لا تضر ولو كثرت، وأباحوا الإكثار من المعاصي، حتى قال قائلهم(٤):

فَكَثِّر مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ المَعَاصِي ... إِذَا كَانَ القُدُومُ عَلَى كَرِيم

هؤلاء هم المرجئة الذين يُغلِّبون جانب الرجاء، والذين يبيحون المعاصي ويقولون: إنها لا تضر مع الإيمان، كما أن الطاعات لا تنفع مع الشرك.

فنقول: إن الواجب على المسلم أن يكون متوسطًا، وأن يعتقد أن المعاصي تضر، وأن مآل العصاة إلى الجنة وإن دخلوا النار.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢) بنحوه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣) من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٩) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٤) ذكر هذا البيت ابن خلكان في وفيات الأعيان (٢/ ٩٧) ونسبه إلى الحسن بن هانئ بن عبدالأول المعروف بأبي نواس. وانظر: الجواب الكافي (ص١٢).

٢٧- ولا تَعتقِـدْ رأيَ الْـخَوَارجِ إنَّـهُ
مَقَـالٌ لِـمَنْ يَهْـوَاهُ يُـرْدِي ويَفْـضَحُ

الشرح:

الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وكفروه، وقالوا: لا نبايعك حتى تعترف بأنك قد كفرت وبطلت صحبتك، وبطل جهادك، وبطلت أعمالك. ثم صاروا يكفرون كل من خالفهم، يكفرون كل المسلمين الذين ليسوا على رأيهم، ويحكمون بأن كل من مات وهو على معصية فإنه خالد مخلد في النار، فرأيهم يردي ويفضح؛ لأنهم خالفوا الأدلة، وتجرؤوا على تخليد أهل النار، ثم على قتال العصاة، ويقولون: كل من دخل النار فإنه مخلد فيها.

وقد يستدلون بقول الله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة:٢٠]، وبقوله -جل وعلا-: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾ [آل عمران:١٩٢]، وبنحوها من الآيات التي فيها بعض عذاب أهل النار؛ كقوله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾[المائدة:٣٧].

وعلى كل حال فإنها مقالتهم استحلوا بها قتال المسلمين؛ لأجل معصية فعلوها، وحصل منهم قتال في عهد بني أمية، وثار ثوار كثير من أولئك الخوارج على ولاة الأمر، وفارقوا الجماعة، وكفروا المسلمين، واستحلوا دماءهم وأموالهم.

٢٨- ولا تَـكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ
أَلاَ إِنَّمَا المُرْجِي بِالدِّينِ يَمْـرَحُ

الشرح:

(أَلاَ إِنَّمَا المُرْجِي بِالدِّينِ يَمْرَحُ) أي: المرجئة لعبوا بدينهم؛ لأنهم أباحوا المعاصي وتوسعوا فيها، وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب كما أنه لا ينفع مع الشرك عمل. فيغلبون جانب الرجاء، ويقولون: إن أهل الكبائر وإن عملوا ما عملوا فإنهم لا يُعذبون، بل يكونون من أهل الجنة. فيبيحون الاستكثار من المعاصي، والإكثار من الذنوب والسيئات. ويقول قائلهم[1]:

فَكَثِّر مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الخَطَايَا ... فَإِنَّكَ بَالِغٌ رَبًّا غَفُورًا
سَتُبْصِرُ إِنْ وَرَدْتَ عَلَيْهِ عَفْوًا ... وَتَلْقَى سَيِّدًا مَلِكًا كَبِيرًا
تَعُضُّ نَدَامَةً كَفَّيْكَ مِمَّا ... تَرَكْتَ مَخَافَةَ النَّاسِ السُّرُورَا

هذه عقيدتهم، ولعلهم أيضًا سموا مرجئة؛ لأنهم لا يجعلون الأعمال من الإيمان، بل يجعلون الإيمان هو مجرد التصديق، فمجرد التصديق فقط هو الإيمان، فلأجل ذلك سموا مرجئة؛ لأنهم أرجئوا الأعمال عن مسمى الإيمان.

وقد ورد تحذير منهم كثير ، وبالغ الخلال في كتابه «السنة» في التحذير من المرجئة، وأكثر من الآثار التي في التحذير منهم، ونقل عن السلف أقوالاً كثيرة

---

(١) ذكر هذه الأبيات ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٤٦٢) ونسبها إلى الحسن بن هانئ بن عبدالأول المعروف بأبي نواس.

تدل على ذمهم، وعلى تخطئتهم في أقوالهم، فليراجع ذلك الكتاب وتلك الآثار؛ ليُعرف بذلك ما ذكره الناظم أن المرجئ بالدين يمرح، وأنه لعوب بدينه؛ لأنه أباح المعاصي وسهل أمرها، وادعى أنها ليست من مسمى الإيمان.

٢٩- وَقُلْ إِنَّمَا الإِيمَانُ قَوْلٌ ونِيَّةٌ
وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ

الشرح:

هكذا جزم بأن الإيمان قول ونية وفعل، وهذا قول جمهور العلماء وأهل السنة والجماعة، مخالفًا لأقوال المرجئة الذين أخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان، وادَّعوا أن الإيمان هو التصديق فقط، وأن الأعمال إنما هي مكملة ونحو ذلك.

وقد بيَّن العلماء الرد على هؤلاء، ولما كان كذلك بدأ البخاري صحيحه بعد المقدمة بكتاب الإيمان، وبعدما ذكره قال: «وهو قول وفعل». يعني: لم يذكر النية في العقيدة؛ لأنها ملازمة، فأهل السنة يقولون: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، والذي سمعناه من شيخنا محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ أنه كان يقول: «إن الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح». ولم يذكر عمل اللسان، إنما اللسان منه القول، فيقول: «عمل القلب والجوارح».

وأمثلة العمل هذا كثيرة، وقد جاءت الأحاديث الكثيرة في بيان أن الأعمال من مسمى الإيمان، وكذلك نفي الإيمان عن بعض من عمل عملًا سيئًا، كقوله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[1]، و قوله عليه الصلاة

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٦)، ومسلم (٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والسلام: «لَا يُؤْمِنُ أحدكم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[١].

وكذلك الأحاديث الكثيرة التي فيها عد الخصال من الإيمان؛ كقوله ﷺ: «من كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ»[٢]، وقوله ﷺ «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ ثَلَاثِ لَيَالٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ»[٣]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تُحِدُّ على مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ إلا على زَوْجٍ، فَإِنَّهَا تُحِدُّ عليه أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»[٤]. يدل على أن هذه كلها من الإيمان.

وكذلك من القرآن قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال:٢، ٣]، فدل على أن هذه كلها من الإيمان، وقد ذكر فيها الصلاة والزكاة، وذكر فيها ذكر الله تعالى ووجل القلوب، وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات:١٥]، فذكر القول والعمل الذي هو الجهاد، فجعل ذلك كله من الإيمان. وكذا قوله جل

---

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٠٨٨)، ومسلم (١٣٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٢٨٠)، ومسلم (١٤٨٦) من حديث أم حبيبة رضي الله عنها.

وعلا: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[السجدة:١٥، ١٦]، أخبر بأن هذه كلها من الإيمان.

وأما الأحاديث فإنها كثيرة كما أشرنا إلى بعضها، وقد أكثر البخاري رحمه الله من الأبواب التي تدل على أن الأعمال من الإيمان، كقوله: «بابٌ الصلاة من الإيمان»، «بابٌ الزكاة من الإيمان»، «بابٌ أداء الخمس من الإيمان»، ونحو ذلك، ويذكر أدلة على ذلك، ولعل ذلك للرد على المرجئة وبالأخص مرجئة الفقهاء الذين يدَّعون أنهم على مذهب الحنفية، فإنهم يقولون: إن الإيمان هو التصديق. ومشى على ذلك الطحاوي في عقيدته، وأما ابن أبي العز الذي شرحها فإنه حاول التقريب بين مذهب أهل السنة ومذهب المرجئة الذين يقولون: إن الأعمال ليست من الإيمان، ويقولون: إن الإيمان أهله في أصله سواء. وجعل الخلاف لفظيًا؛ ولأجل ذلك تكلف ابن أبي العز رحمه الله لأجل أن يقنع أهل السنة، وأن يُبين أن ما عليه الطحاوي ونحوه ليس مخالفًا لقول أهل السنة، ولكن الصحيح أن الخلاف معنوي وليس لفظيًا كما يقولون، وأن الذين يقولون: إن الأعمال ليست من الإيمان يرخصون في عمل المحرمات، وفي ترك كثير من الطاعات، إذا كان هذا الفعل وهذا الترك لا يضر الإيمان، حيث قال الطحاوي: «أهله في أصله سواء»[1].

---

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٣٧٣).

٣٠- ويَـنْقُصُ طَـورًا بالمَعَـاصِي وتَـارةً
بِطَاعَتِـهِ يَنْمِـي وفي الـوَزْنِ يَـرْجَحُ

الشرح:

يخبر بأن الإيمان يزيد وينقص، وزيادته بالطاعات ونقصه بالمحرمات، وقد ذكر الله تعالى زيادة الإيمان في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَنًا﴾ [الأنفال:٣]، وفي قوله عز وجل: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَنًا﴾ [المدثر:٣١]، وفي قوله جل وعلا: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَنًا مَّعَ إِيمَنِهِمْ﴾ [الفتح:٤]، وفي قوله جل شأنه: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤]، ونحو ذلك.

وكل شيء يقبل الزيادة فإنه يقبل النقصان، وقد ورد أن النبي ﷺ ذكر النقص في قوله: «وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ»(١). ذكر نقص الدين، والدين هو الإيمان، وفي الحديث أن الله تعالى يقول للملائكة: «اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ من إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ ... اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ ... اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ من إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ»(٢)، وهذا دليل على أن الإيمان الذي في القلب يتفاوت فمنه القوي ومنه الضعيف؛ لدلالة هذه الأحاديث عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه (ص١١٣).

فنحن نقول: إن الإيمان ينقص بالمعاصي، ويزيد بالطاعات، فإذا تكلم بخير وبذكر وبنصيحة زاد إيمانه، وإذا تكلم بسوء ومسبة وسخرية واستهزاء نقص إيمانه، وإذا نظر إلى مخلوقات الله تعالى ليعتبر بذلك زاد إيمانه، وإذا نظر إلى المحرمات وإلى النساء المتبرجات نظر شهوة نقص إيمانه، وإذا استمع إلى الذكر وإلى القرآن والخير زاد إيمانه، وإذا استمع إلى الغيبة والنميمة والغناء والزمر نقص إيمانه، وإذا خطا خطوات إلى المسجد للصلاة زاد إيمانه، وإذا خطا خطوات إلى الملاهي التي تصد عن ذكر الله، وتزين له المحرمات نقص إيمانه، وإذا أنفق في وجوه الخير وعلى المستحقين من ماله زاد إيمانه، وإذا أنفق في الشر وفي اللهو المحرم وفي الغناء وفي الأفلام الخليعة ونحوها نقص إيمانه.

هكذا عقيدة أهل السنة، ولاشك أن ذلك يكون سببًا لأن يحذر المسلم من نقص إيمانه وهو لا يشعر، فيتحرى الأعمال الصالحة التي يكون فيها زيادة إيمانه.

٣١- وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ
فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ

الشرح:

قوله: (آرَاءَ الرِّجَالِ)، يعني: تخرص الذين يقولون بغير علم، فالقول على الله بغير علم قول محرم، ذكره الله تعالى في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣]، أي: تتخرصون وتقولون في الدين بغير حق، وسواء كان ذلك فيما يتعلق بالعقيدة، أو فيما يتعلق بالأحكام، فالذين يتخرصون ويحلون ويحرمون بآرائهم فهؤلاء مبتدعة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾[النحل:١١٦]، وذم الله تعالى مشركي العرب الذين يحرمون ما أحل الله في قوله عز وجل: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[الأنعام:١٤٣]، وفي قوله جل وعلا: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾[الأنعام:١٤٠]، وما أشبه ذلك.

قوله: (فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ)، يعني: إذا جاء القول عن النبي ﷺ فإنه واجب الاتباع، وهو أولى بأن يُقدم؛ ولهذا كان أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «إذا جاء الخبر عن النبي ﷺ فعلى الرأس والعين»[1].

(١) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن (ص١١١).

وكان مالك رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «ما منا إلا راد ومردود عليه، إلا صاحب هذا القبر»[(١)]. يعني: النبي ﷺ.

فإذا جاء القول عن النبي ﷺ فإنه مقدم على قول كل أحد، سواء في العقائد أو في الأحكام أو ما شابه ذلك.

وسبب قول هذا النظم أنه ابتُلي في زمانه بأناس يتركون الأحاديث الصحيحة ويأخذون بآراء الرجال، وفيهم يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحّته، ويذهبون إلى رأي سفيان الثوري، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعلّه إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك»[(٢)].

كذلك من آراء الرجال: البدع، فإن كثيرًا يبتدعون بآرائهم ما لم ينزل الله به سلطانًا، ويطيعهم أتباعهم، وينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]، فالواجب أن تُجتنب تلك البدع، وأن تُترك تلك الآراء والتخرصات التي يقولها أناس بغير علم حتى ولو كانوا مجتهدين إذا تبين خطؤهم فإن البعد عنهم أولى.

---

(١) انظر: الإحكام لابن حزم (٦/ ٣١٧)، ومنهاج السنة النبوية (٣/ ٥٠٣)، والبداية والنهاية (١٤/ ١٤٠)، والآداب الشرعية (٢/ ٢٩٣)، وإعلام الموقعين (٣/ ٢٨٤، ٢٨٥).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (رقم ٩٧).

٣٢- ولا تَـكُ مِـنْ قَـوْمٍ تَلَهَّـوْا بِـدِيْنِهِمْ
فَـتَطْعَنَ فِي أَهْـلِ الحَـدِيْثِ وَتَقْـدَحُ

الشرح:

يَنْهى رَحِمَهُ اللَّهُ عن أناس دينهم اللهو والسهو والغفلة، واتباع الهوى، وقد جاء في الحديث: «**ما تَحْتَ ظِلِّ السَّمَاءِ من إِلَهٍ يُعْبَدُ من دُونِ اللَّهِ أَعْظَمُ عِنْدِ اللَّـهِ مـن هَـوًى مُتَّبَـعٍ**»(١)، ودليله من القرآن قوله تعالى: ﴿**أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ**﴾ [الفرقان:٤٣]، يعني: لا يهوى شيئًا إلا ركبه.

ولما كانت هذه حالاتهم وأنهم يركبون ما يهوونه ويتبعون أهواءهم، كان من آثار ذلك أنهم يطعنون في أهل الحديث، ويعيبون رجال الحديث وأهل الحديث كالبخاري ومسلم، وأهل السنن الأربعة، والإمام أحمد، وأهل المسانيد، وأهل المستخرجات، الذين يسر الله لهم الاشتغال بالحديث فخدموا السنة، وبينوا صحيح الحديث من ضعيفه، واجتهدوا في بيان الأحاديث، فالذين يطعنون فيهم لاشك أنهم يطعنون في السنة، كأنهم يقولون: إن هؤلاء ليسوا ثقات، وأن أحاديثهم التي رووها ولو كانوا معروفين بالثقة وبالتثبت غير مقبولة ولا صحيحة، فيقدحون فيهم اتباعًا للهوى، واتباعًا لآراء الرجال ولرؤسائهم، فينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿**وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٥٠٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١١٨) من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:٦٧]، يتبعونهم ويقلدونهم وهم يرون الحق واضحًا، سواء في العقيدة أو في الأحكام والحلال والحرام.

فالذين يقلدون الرجال ويطعنون في السنة ويردون الأحاديث الصحيحة هؤلاء ممن يعبدون غير الله، يعبدون رؤساءهم ويطيعونهم في غير الحق، يطيعونهم في المعصية، ويقدسونهم، ويتبعون غلطاتهم، وهؤلاء كلهم يعتبرون من أهل الخسارة، فالواجب البعد عنهم وعدم تصديقهم.

٣٣- إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ
فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ

الشرح:

ختم العقيدة بهذا البيت، فأخبر بأنك إذا اعتقدت هذه العقيدة، والتزمت بما فيها، فأنت على خير، وأنت على عقيدة سليمة ليلك ونهارك، هكذا أوصى بالالتزام بهذه العقيدة وهي عقيدة سليمة مقترنة بالأدلة الصحيحة في كتاب الله، وفي أحاديث النبي ﷺ، وفي أقوال العلماء الربانيين.

فنوصي بحفظها، ونوصي بالالتزام بما فيها، ونسأل الله أن يُحينا مسلمين، وأن يميتنا مسلمين، وأن لا يحرمنا من فضله، وأن يجزي هذا الناظم خير الجزاء، وأن يرحمه وسائر علماء المسلمين، ويجعلهم من أهل عليين، والله أعلم.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار المروية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.



فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار المروية

فهرس المصادر والمراجع

(أ) كتب التفسير وعلوم القرآن:

١- القرآن الكريم.

٢- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

٣- تفسير ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ.

٤- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠١هـ.

(ب) كتب الحديث وعلومه:

٥- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة : الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكَلِم، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، تحقيق طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

٨- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٩- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

١٠- سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١١- السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، طبعة ١٤١٤هـ.

١٢- سنن النسائي الصغرى (المجتبى)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة بيروت، الطبعة السادسة ١٤٢٢هـ.

١٣- سنن النسائي الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، وإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٤- شرح علل الترمذي، الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق د. همام عبدالرحيم سعيد مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٥- شُعَب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٦- صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

١٧- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

١٨- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
١٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
٢٠- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة)، أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
٢١- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى١٣٩٩هـ.
٢٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، وبيروت.
٢٣- المدخل إلى السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب، الكويت، طبعة ١٤٠٤هـ.
٢٤- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، مكتبة المعارف.
٢٥- مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
٢٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.
٢٧- مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٨-مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٢٩-المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق د. سعد بن ناصر الشثري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣٠-المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

(ج) كتب العقيدة:

٣١-الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، عبيد الله محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق عثمان عبد الله الأثيوبي، دار الراية للنشر، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

٣٢-أصول الدين، جمال الدين أحمد بن محمد الغزنوي الحنفي، تحقيق د. عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣٣-بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

٣٤-تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٥-تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٣٦-خلق أفعال العباد، محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة، دار المعارف، الرياض، طبعة ١٣٩٨هـ.

٣٧-رؤية الله، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق مبروك إسماعيل مبروك، مكتبة القرآن، القاهرة.

٣٨-الروح، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٥هـ.

٣٩-السنة، ابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٤٠-السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٤١-شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، تحقيق: د.أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة١٤٠٢هـ.

٤٢-شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ.

٤٣-شرح القصيدة النونية، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

٤٤- شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، دار المعارف النعمانية، باكستان، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

٤٥- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ.

٤٦- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.

٤٧- العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية) محمد بن أحمد ابن سالم بن سليمان السفاريني، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود. مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٤٨- العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٤٩- منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

(د) كتب الأصول والقواعد الفقهية:

٥٠- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٥١- إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق محمد محيي الدين، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

(هـ) كتب الفقه والفتاوى:

٥٢- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

(و) كتب اللغة والأدب:

٥٣- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٥٤- لسان العرب، ابن منظور جمال الدِّين أبوالفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثمّ المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٥٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، طبعة ١٣٩٩هـ.

(ز) كتب التاريخ والسيرة والتراجم:

٥٦- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٢هـ.

٥٧- البداية والنهاية، عماد الدِّين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ.

٥٨-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٥٩-تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٠-تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٥م.

٦١-الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محيي الدين عبدالقادر بن محمد بن نصر الله الحنفي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٦٢-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٦٣-سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ.

٦٤-طبقات فحول الشعراء ـ محمد الجمحي ـ دار المدني ـ جدة.

٦٥-لسان الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني، دائرة المعارف النظامية ـ الهند، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

٦٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق علي عوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٥م.

٦٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

(ح) كتب عامة، وكتب الأخلاق والسلوك:

٦٨- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت.

٦٩- الآداب الشرعية، أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.

٧٠- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار الكتب العربي، بيروت، طبعة ١٤٠٤هـ.

٧١- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٢- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٣- طريق الهجرتين وباب السعادتين، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٧٤-عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد، أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري الشافعي المعروف بابن السني، تحقيق كوثر البرني، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة - بيروت.

٧٥-المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ.

٧٦-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

